

مركز زناشوي و تاريخ مصر المعاصرة

مصر النهضة

الأزهر كبر

ودوره السياسي والحضاري
في أفريقيا

د. شوقي عطا الله الجمل



Dr. Binibrahim Archive

لعب الأزهر الشريف كقلعة من قلاع الإسلام ،
دورا كبيرا منذ إنشائه في نشر الإسلام والعلوم والمعارف
الإنسانية ، لم يقتصر دوره على مصر . بل امتد إلى غيرها
من الأقطار العربية والإفريقية .

والكتاب الذي بين أيدينا يعالج هذا النشاط للأزهر
ورجاله في القارة الأفريقية سواء عن طريق الوافدين
للأزهر من أبناء هذه القارة أو المبعوثين إليها من رجاله ،
ومما يؤصل ذلك الدور ، أن هذا البحث ، يعتمد على
الوثائق الأصلية والإحصاءات بالإضافة للمراجع
المتعددة بمختلف اللغات



مركز وثائق ونسخ مصر المعاصرة

297-351

.. ٢٣٤

٤

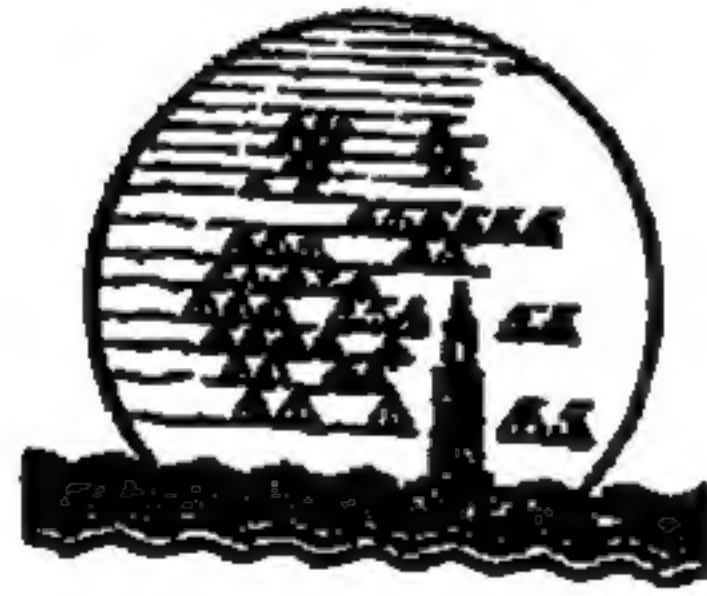
بإشراف: أ. د. يونس لبيب رزق

| |
|---------------------------------|
| الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية |
| رقم التصنيف : _____ |
| رقم التسجيل : _____ |

الأزهر

ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا

د. شوقي عطا الله الجمل



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque Alexandrine



الجمعية المصرية لخدمة الكتاب

١٩٨٨

تقديم

« الأزهر منارة » .. توصيف شاع بين جموع المؤرخين الذين تناولوا دور الأزهر التنويرى سواء على المستوى المصرى أم المستوى العربى أم المستوى الاسلامى ، وهو توصيف فى مكانه بلا مرأء .

يبد أن الغالبية العظمى من مستخدمى هذا التوصيف قد عنوا بالأساس بما قدمه الأزهر للوافدين من شتى أرجاء المعمورة الاسلامية مما تجسد فى تعدد أروقتة التى أوى اليها هؤلاء ، وهم لم يعنوا بنفس الدرجة بالجانب الآخر من الصورة المتمثل فى ذهاب الأزهر ، متمثلا فى علمائه ، الى تلك الأرجاء .

فقد كان هناك دائما ، وعلى توالى الحقب التاريخية ، من يمكن توصيفهم بفيالق من رجال الأزهر تخرج فى موجات متتالية تؤدى رسالتها المصرية والاسلامية فى التنوير ونشر المعارف فى مناطق كانت فى مسيس الحاجة اليهما .

وهذا العدد من مصر النهضة عن « الأزهر ودوره السياسى
والاجتماعى فى افريقيا » والذي يسهم به الأستاذ الدكتور
شوقي الجمل أستاذ الدراسات الافريقية فى معهد البحوث
والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة يقدم جانبا من هذا الوجه
الآخر من الصورة الذى لم يلتفت اليه المؤرخون بدرجة كافية
من قبل .

واذا كان المؤلف ليس غريبا على « مصر النهضة » التى
استضافته قبل ذلك فى عددها السابع وكان تحت عنوان « دور
مصر فى افريقيا فى العصر الحديث » ، فان اهتمام « مصر
النهضة » بعلاقات مصر الافريقية فى العصر الحديث ليس جديدا
على القارئ ، فمن بين ثلاثة وعشرين كتابا صدرت من هذه
السلسلة عالجت أربعة منها هذا الموضوع من جوانب متعددة .
وكما طوف الأستاذ الدكتور شوقي الجمل فى عمله هذا
الذى بين أيدينا . . طوف بنا فى شتى أنحاء القارة متتبعا دور
الأزهر فيها فقد كشف فى نفس الوقت عن أسرار جديدة لهذا
الدور استخرجها من أضاير الأزهر أو شهادات الرحالة
مما يضيف على هذا الكتاب أصالة علمية حرصنا على قدر الامكان
على توفيرها « لمصر النهضة » .

وعلى الله قصد السبيل ،

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مقدمة

احتفل العالم الاسلامى والعربى فى عام ١٩٨٢ بالعيد الألفى للأزهر ، والحقيقة أن هذا الاحتفال لا ينصب على المبنى الشامخ الذى قاوم الزمن والذى يرتفع اليوم على أرض مصر ترنو اليه الأبصار - لكن الأهم من ذلك الدور الضخم الذى قام به على مر العصور منذ انشائه والذى نتظر أن يقوم به مستقبلا .

ومهما قيل عن الهدف والأهداف التى من أجلها أقيم هذا البناء الضخم - كما سنذكر - فلقد كان تأثير الأزهر ورجاله على مر العصور عميقا فى تاريخ وحضارة المنطقة كلها والتى وصل اشعاعه ونوره اليها .

ولم يقتصر دوره على الناحية الدينية وهى التى اهتم بابرازها العلماء والكتاب والمؤرخون - لكن كان له دور قوى وفعال فى المجال السياسى والحضارى لا فى مصر والعالم العربى فحسب بل وفى العالم بأسره وفى القارة الافريقية بصفة خاصة .

وهذا الدور السياسى والحضارى الافريقى هو موضوع هذا الكتاب • ولا يمكن أن يدعى الكاتب أنه غطى كل جوانب هذا الموضوع الضخم فلاشك فى أن الكثير يمكن أن يكشف عنه النقاب - لكن لعل هذا البحث يفتح الطريق لأبحاث عدة - تقوم على الاحصاءات والبيانات الدقيقة وتكشف النقاب عن الجهود الصادقة التى بذلها رجال الأزهر فى صمت وفى تضحية فى أنحاء كثيرة من القارة الافريقية التى كانت ومازالت فى مسيس الحاجة للمزيد من هذه الجهود •

ولا يرمى الباحث من وراء بحثه هذا أن يوفى الذين بذلوا وضحوا حقهم من المدح والثناء - بقدر ما يهدف الى أن يدفع لمزيد من البذل والعطاء للقارة مازالت رغم التقدم البارز الذى حدث منذ الخمسينات من هذا القرن - فى حاجة ماسة للمزيد من جهود وتضحيات أمثال هؤلاء الجنود الذين تدربوا فى ربوع هذا الصرح منذ انشائه فى عام ٩٧٢ م وانتشروا يكافحون الجهل والخرافات والأوهام ، ويدعون الانسان فى كل مكان ليحتل مكائته السامية التى تميز بها عن سائر المخلوقات دون نظر لجنسه أو لونه ويتمتع بحقوقه الطبيعية التى داس عليها المستعمرون وجردوه منها •

والله ولى التوفيق

لندن - ديسمبر ١٩٨٧

تاريخ الأزهر منذ نشأته الى اليوم

محتويات الفصل :

- انشاء الأزهر ، والهدف من ذلك •
- مكاتبه في العهد الفاطمي ، والأموي ، والمملوكي والعثماني •
- تطور نظام التعليم في الأزهر والقوانين التي صدرت لذلك :
- ١ — قانون ١٨٨٥ بخصوص من يقوم بالتدريس في الأزهر •

- ٢ - قانون عام ١٨٩٦ •
- ٣ - قانون عام ١٩٠٨ •
- ٤ - . قانون عام ١٩١١ •
- ٥ - قانون عام ١٩٣٦ •
- ٦ - القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، ونشاط معهد
البحوث الاسلامية ، ومجمع البحوث الاسلامية
في ظله •

في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (أبريل سنة ٩٧٠ م)
وضع جوهر الصقلي قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي حجر
الأساس للجامع الأزهر ، وقد تم بناؤه في ١٧ من رمضان
سنة ٣٦١ هـ (٢٢ يونيو سنة ٩٧٢ م) • أى أن البناء استغرق
عامين • ومنذ ذلك التاريخ غدا منارة للمسلمين • ولم يقتصر
أثره على الناحية الدينية ، بل كما سئرى انه أصبح قلعة من
قلاع العلم والمعرفة ينفذ إليها الطلاب من شتى الديار والأقطار •

ويقع الأزهر في الجنوب الشرقي من مدينة القاهرة التي
بناها جوهر الصقلي على مقربة من القصر الكبير الذي أنشأه
المعز لدين الله وتتش على دائرة القبة ما يلي :

« أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو نسيم الامام المعز لدين الله
أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين

على يد عبده جواهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة
ستين وثلاثمائة « (١) » •

وقد اختلفت الآراء حول تسمية (الأزهر) بهذا الاسم -
ف قيل انه اطلق عليه أول الأمر اسم جامع القاهرة ثم سمي باسمه
الجميل نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله
عليه وسلم والتي ينتسب اليها الفاطميون ، وذهب البعض الى
أن هذا الاسم نسبة الى كوكب الزهرة (٢) •

وكان بناؤه بهدف أن يكون مركزا للمناداة بمذهب
السنة - لكن الأمر لم يقتصر على هذه الناحية فقد أصبح
الأزهر من الأركان الرسمية للدولة الفاطمية ، فبالإضافة الى
الناحية الدينية كان يجتمع فيه الخلفاء بالشعب يوجهون ويأمرون
ويتدارسون فيه المشاكل • وكان جواهر يجتمع فيه بالمسلمين
ليعلن لهم الأوامر الصادرة من الحاكم بخصوص الشئون
التنظيمية للدولة الجديدة • فالهدف من انشائه كان عدة أمور
دينية وثقافية ، وتنظيمية اذ يعلن الحاكم الفاطمي فيه اتجاه
الدولة الديني والسياسي (٣) •

(١) دائرة المعارف الإسلامية - ٣ ، ص ١٨٢ •

(٢) محمد عبد الله قاضي وآخرون : الأزهر ، في ١٢ ، ص ١٩٦٤ (

ص ١١٠ •

(٣) أحمد محمد عوف (دكتور) : الأزهر في ألف عام (١٩٨٢ ،

ص ٣٧ •

ولقد أسهم الأزهر في العهد الفاطمي، بنصيب كبير في الحركة العلمية حيث كانت تعقد فيه حلقات لدراسة الدين واللغة ، والأدب ، والقراءات ، والنحو والمنطق والفلك - كما كان مركز التعريف ببعض نواحي الحياة الرسمية في الدولة ، فكانت تعقد به الاجتماعات الهامة وتصاغ الاتفاقيات الرسمية ، كما كان مركز الاحتفالات الرسمية .

وقد استجلب الفاطميون للأزهر خيرة فقهاء وعلماء الشيعة وقضاتها وأغدقوا عليهم المال والعطايا ونقلوا اليه كثيرا من الكتب من مختلف الخزائن ، وشجعوا طلاب العلم من البلاد الإسلامية الأخرى للالتحاق به ، وكانوا بين الوقت والآخر يجرون توسعا في مبانيه وأروقته ، وخصصوا أموالا ثابتة لتنفق على الأزهر وعلى طلابه ، ومنذ ذلك الوقت ونتيجة لهذا الاهتمام ارتبط اسم الأزهر برسالة العلم وأصبح منارة علمية كبرى (٤) .

ولما قامت الدولة الأيوبية على أنقاض الدولة الفاطمية أهمل شأن الأزهر وشجع الأمويون علماء الأزهر على تركه والتدريس في المدارس التي أسسوها كما أبطلت صلاة الجمعة فيه .

(٤) محمد سليمان : دور الأزهر في السودان (١٩٨٥) ص ١٠

لكن عاد الأزهر للاتعاش في العهد المملوكي ، وعادت اليه مكاتته العلمية ، فقد أعاد الظاهر بيبرس خطبة الجمعة بالأزهر ، وأوقف كثيرا من سلاطين المماليك الأموال عليه . وعادت حلقات الدرس التي كانت تعقد فيه ، وعين مشرف لرعاية شئونه ، كما عين له امام يصلي بالناس فيه وتعددت أروقة الأزهر وأصبحت تفد اليه مجموعات من مختلف الأقطار الاسلامية نكل مجموعة منها رواق خاص بها .

وعادت للأزهر في هذا العهد المملوكي مكاتته للأعمال الرسمية - فكانت تملئ فيه المنشورات العامة والأوامر التي يصدرها الحكام ، كما كانت لرجاله كلمة مسموعة فكان يلجأ اليوم المظلوم يطلب تدخلهم لرفع الظلم عنه - كما شغل علماء الأزهر عدة وظائف هامة في الدولة . وهكذا أصبح الأزهر مركز الحركة العلمية والثقافية والسياسية في الدولة ، وأصبحت مصر بفضلها « أم العالم وينبوع العلم » كما ذكر ابن خلدون وهو أحد العلماء الذين وفدوا لمصر وتولوا التدريس في الأزهر (٥) .

وأصاب الأزهر في العهد العثماني ما أصاب مصر وغيرها من أقطار العالم العربي من ركود فكري وحضاري اذ ان العثمانيين عمدوا الى نقل أمهات الكتب الفريدة في مختلف

(٥) ابن خلدون في المقدمة .

العلوم الى الأسيانة - لكن على الرغم من ذلك فقد ظلت للأزهر مكائته فى علوم الدين ، واللغة •

وقرب نهاية القرن السابع عشر الميلادى (١٦٩٠ م) أنشئت وظيفة شيخ الأزهر وكان أول من أسندت له هذه الوظيفة الشيخ محمد عبد الله الخراشى (٦) •

ورغم ما أصاب الأزهر فى العهد العثمانى فقد استمر فى رسالته لنشر الثقافة العربية والاسلامية لا فى مصر وحدها بل وفى أقطار أخرى متعددة • وقد أظهر بعض سلاطين العثمانيين احترامهم للأزهر ليكسبوا على الأقل قلوب المصريين الى جانبهم ، وليظهر السلطان العثمانى أمام المصريين بأنه حاكم مسلم مثلهم ، وهو سنى مثلهم ، ولذلك فهو لا يختلف عنهم فى اظهار احترامه وتقديره للأزهر •

ويقال ان السلطان سليم الأول بعد فتحه لمصر ظل خلال الشهور الثمانية التى قضاها فيها يتردد على الأزهر ويحرص على أداء صلاة الجمعة فيه ويوزع الخيرات على مجاوريه (٧) •

(٦) حنى عبد العظيم : مشيخة الأزهر منذ انشائها حتى الان (١٩٧٨) ص ٤٤ •

(٧) عبد العزيز الشناوى (دكتور) : دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر ابان العهد العثمانى ص ٢٨ •

وقد ترجم له المؤلف وعرف به وبمؤلفاته ومكائته - المرجع السابق ص ٥١ ، ص ٥٨ •

وقد كان الطالب يلتحق بالأزهر — بعد أن يتعلم القراءة والكتابة وعلوم الحساب وغيره من علوم الرياضة وحفظ القرآن في المساجد والكتاتيب الملحقة بها والمنتشرة في مصر .

وكانت الدراسة في الأزهر على نظام الأروقة ، وقد تعددت هذه الأروقة — كما سنشير — لكثرة الوافدين على الأزهر طلبا للعلم من مختلف الأقطار العربية والأفريقية .

وكان الطلبة يدرسون عن شيوخهم علوم التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والنحو ، والبلاغة ، والفلسفة ، والمنطق . ولم تكن الدراسة سهلة يسيرة ، ولم تكن حياة هؤلاء الدارسين مرفهة ، فقد كان غالبية الطلبة يعيشون حياة تقشف في المأكل والملبس والفراش ، ويعانى الفقراء منهم من قسوة الحياة ما لا يحتمله الا راغب في العلم ومقدر لما يتطلبه ذلك من تضحيات ، فهم يجدون في طلب العلم والبذل من أجله سعادة وطمأنينة ، ويغنيهم ذلك عن متاع الدنيا وزينتها .

مرت السنون على الأزهر وهو يؤدي رسالته العلمية هذه ، وأتى اليه الوافدون من مختلف الأقطار طلبا للتلمذ على مشايخه وأساتذته ، ويزداد عدد الوافدين يوما بعد يوم ، ويعود منهم من يعود الى بلاده حاملا أضواء المعرفة التي

اكتسبها فينشر في موطنه الأصلي قبسا من هذا الضوء ويدفع ذلك غيرهم للحضور لمصدر هذه المعرفة . وهكذا أصبح الأزهر كعبة للعلم والمعرفة يحج إليها ويستقر في أروقتها من يريدون المزيد من العلم والمعرفة .

ولكن الأمر لم يقتصر على هذه الرسالة العلمية والتثقيفية والدينية بمفهومها الضيق فقد ألت بمصر - بلد الأزهر - وألم بالمسلمين وبالعرب في مختلف أقطارهم وألت بالمواطنين في البلاد الآسيوية والافريقية بالذات أحداث . ورأى المثقفون والرواد من رجال الأزهر انه ليس من العلم وليس من الدين ولا يتواءم مع المعرفة التي ينشدها الأزهر ورجاله أن يقف للأزهر ورجاله والذين تثقفوا في ربوعه وفي أروقه موقفهم الأحداث موقف المتفرجين المشاهدين فحسب ، ومن هنا كان الأزهر رجاله والمثقفون الذين نهلوا من منابع العلم فيه من هذه من الأحداث الهامة التي ألت بمصر وبالعالم العربي ، وبالمسلمين في مختلف الأقطار الآسيوية والافريقية فكانت مشاركة الأزهر في مقاومة الاستعمار والمستعمرين وفي مساندة حقوق المواطنين في كل هذه الأقطار مضرب الأمثال .

وبرز دور الأزهر حين احتل الفرنسيون مصر ، وفي التعبير عن آمال الشعب والآمه حين استبد الحكام بالأمر منذ عصر

محمد على ، فكان للأزهر ورجاله دور واضح فى قيادة الحركة الوطنية ضد الاستبداد والاحتلال • وظل الأزهر يلعب دوره القيادى الى يومنا هذا ، وهو ما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد • لكن ما يهمنا هنا هو أن نشير الى التطور الذى طرأ على الدراسة والتدريس فى الأزهر والمراحل التى مر بها لأن ذلك يرتبط ارتباطا وثيقا بالدور الذى قام به الأزهر وأثره الحضارى فى القارة الافريقية بالذات •

كان الأزهر فى البداية يمد المدارس الابتدائية والثانوية فى مصر بحاجتها من المدرسين فقد قام التعليم على أكتاف خريجه خاصة قبل أن يتطور التعليم فى مصر ويتجه لاعداد متخصصين فى مختلف المجالات •

وكان يقوم بالتدريس فى الأزهر نخبة من المشهود لهم بالعلم والمعرفة وبعضهم كان لهم من الصيت والشهرة ما يدفع بعض طالبى العلم من البلاد المختلفة لتجشم المشاق للحضور لمصر للتزود بالعلم على أيدي هؤلاء العلماء فكان لهم تلامذتهم ومريدوهم الذين يقدون خصيصا للتلمذ عليهم •

وقد تطور نظام التعليم فى الأزهر وصدرت عدة قوانين للاصلاح نذكر منها :

اولا - قانون عام ١٨٨٥ بخصوص من يتصدى للتدريس فى الأزهر :

صدر هذا القانون في مشيخة الامام الشيخ محمد المهدي العباسي الذي تولى مشيخة الأزهر في عام (١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م) فعكف على وضع قانون للتدريس في الأزهر ، وكان الأمر قبله قائما على أن من آنس في نفسه القدرة على التدريس تصدى له ، فألقى درسا يحضره شيوخه فاذا آذنوا له ظل قائما بها . وبالطبع كان هذا الأسلوب يفتح ثغرات في الوصول الى منصب التدريب فاندس بين علماء الأزهر من لا يستحق هذه المنزلة (٨) .

ويقضى القانون الجديد بأن يعقد للمتقدم لوظيفة التدريس في الأزهر امتحان في احد عشر علما من العلوم المتداولة بالأزهر وهي : التفسير ، والحديث ، والتوحيد ، والفقه ، وأصول الفقه ، والنحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، والمنطق .

فلا بد أن يكون المتقدم للامتحان قد درس هذه المواد بالأزهر وأن يلم بمصادرها - ويتقدم بطلب لشيخ الأزهر يبدى فيه رغبته في الالتحاق بجماعة العلماء المدرسين - فاذا استوفي شروط التقدم للامتحان يطلب منه اعداد درس في كل من فنون

(٨) انظر الجبرتي : عجائب الاسرار ، ج ٧ ، ص ٣٢٥ - ٣٣٢ ، وكذلك على عبد العظيم : مرجع سابق ، ص ٢٤٣ وما بعدها .

المعرفة المطلوبة ، وتشكل لجنة الامتحان من ستة من أكابر العلماء الموثوق في علمهم ، وتنعقد اللجنة في بيت شيخ الأزهر حيث يلقي الطالب الدرس المطلوب ويناقشه العلماء الحاضرون . فإذا اجتاز الامتحان سمح له بالتدريس ، وكان عادة لا يسمح بدخول هذا الامتحان إلا لعدد محدود لا يتجاوز عادة ستة في العام الواحد (٩) .

ثانيا - قانون عام ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م :

يرجع الفضل في وضع هذا القانون الى الشيخ حسونه النواندى الذى تولى مشيخة الأزهر لأول مرة في عام ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م ، فبادر بوضع قانون لاصلاح الأزهر وعاونته في هذا الامام الشيخ محمد عبده . ويقوم هذا الاصلاح على أساس ادخال العلوم الحديثة مثل الحساب ، والجبر ، والهندسة ، وعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) ، والتاريخ - في الأزهر ، كذلك وضع القانون شروطا لاتساب الطلبة الى الأزهر .

وأنشأ هذا القانون شهادة تسمى (الشهادة الأهلية) يتقدم اليها من قضى بالأزهر ثماني سنوات ، ويؤدى امتحانا شفهيًا أمام ثلاثة من العلماء برئاسة شيخ الأزهر ، كما أنشأ القانون

(٩) على عبد العظيم : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(شهادة العالمية) ويتقدم لها من قضى بالأزهر اثني عشر عاما
على الأقل ويؤدي امتحانه أمام لجنة من ستة من العلماء برئاسة
شيخ الأزهر •

وقد شمل هذا التنظيم الذي وضع للأزهر نواحي الإدارة
والنواحي المالية ، وغير ذلك من وسائل الإصلاح المتصلة
بالتدريس ، والمناهج والامتحانات •

ثالثا - قانون عام ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م (١٠) :

صدر هذا القانون في عهد المشيخة الثانية للشيخ حسونه
النواندي ، وقد أصبح يدير الأزهر بموجب هذا القانون
مجلس عال من ستة أعضاء هم مفتي الديار المصرية ، وشيخ
الشافعية ، والمالكية ، والحنابلة ، واثنان من موظفي الدولة ،
ويرأس المجلس شيخ الأزهر •

ونظمت الدراسة في الأزهر في ثلاث مراحل أولى ، وثانوية،
وعالمية - ومدة الدراسة في كل مرحلة منها أربع سنوات
ويمنح الطالب في النهاية الشهادة العالمية •

(١٠) لمن يريد تفاصيل هذه القوانين يرجع الى :

حسن النواوي : وآخرون : قانون تنظيم الأزهر •

وكذلك : محمد الطيب النجار (دكتور) : الأزهر الشريف عبر عدة قرون

بحث منشور في منبر الاسلام (مارس ١٩٨٣) •

رابعاً - قانون رقم ١٠ لعام ١٩١١ :

يعتبر هذا القانون من أهم القوانين التي اهتمت بتنظيم شئون الأزهر والمعاهد التابعة له والتي افتتحت في المدن الهامة في مصر •

وقد حدد هذا القانون اختصاص شيخ الأزهر ، وأنشأ هيئة للإشراف عليه تحت رئاسة شيخ الأزهر أطلق عليها اسم (مجلس الأزهر الأعلى) ، وأوجد القانون (هيئة كبار العلماء) ، وجعل لها نظاماً خاصاً ، ونظم شئون موظفي الأزهر من حيث التعيين ، والترقية ، والأجازات ، والتأديب ، كما نظم شروط قبول الطلاب وغير ذلك من الأسس التي تنظم سير العمل • وبعد صدور هذا القانون تضاعف عدد الطلاب الملتحقين بالأزهر والمعاهد التابعة له في العواصم المصرية حتى قدر عددهم عام ١٩١٧ م بأكثر من عشرين ألف دارس •

خامساً - قانون سنة ١٩٢٣ م :

جعل هذا القانون كل مرحلة من مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي - أربع سنوات وأنشأ بعد المرحلة العالية قسماً للتخصص يدخله الطلاب بعد نيل الشهادة العالمية للتخصص في التفسير والحديث والفقه والأصول - النحو والصرف والبلاغة والأدب - التوحيد والمنطق - التاريخ والأخلاق •

سادسا - قانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ :

يرجع الفضل في وضع هذا القانون للشيخ محمد مصطفى المراغى الذى تولى المشيخة عام ١٩٢٨ م ، ولكنه استقال فى عام ١٩٣٠ لخلاف مع الملك فؤاد وحل محله فى مشيخة الأزهر الشيخ محمد الأحمدي الطواهرى ، وفى عهده صدر القانون المشار اليه ، وقد عاد الشيخ مصطفى المراغى الى مشيخة الأزهر ثانية فى عام ١٩٣٥ ، وظل شيخا للأزهر حتى عام ١٩٤٥ .

والقانون الذى صدر عام ١٩٣٠ خطوة هامة فى طريق الإصلاح ، فقد اهتم بتزويد الدارسين بما هم فى حاجة اليه من العلوم والمعارف الحديثة . وبموجب هذا القانون أصبحت الدراسة فى الأزهر على أربع مراحل (١١) :

١ - المرحلة الابتدائية - ومدة الدراسة بها أربع سنوات .

٢ - المرحلة الثانوية - ومدة الدراسة بها خمس سنوات .

٣ - المرحلة العالية - وقد انحصرت الدراسة فى ثلاث كليات هى كلية أصول الدين ، وكلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية - ولكل منهاجها الخاصة بها .

(١١) أحمد محمد عوف : مرجع سابق ، ص ١٢٧ وما بعدها ، وكذلك محمد الطيب النجار ، مرجع سابق .

٤ - المرحلة التخصصية - والتخصص اما :

(أ) تخصص في الوعظ والارشاد •

(ب) تخصص القضاء الشرعى والاقتاء •

(ج) تخصص التدريس - ومدته عامان ، وهو تابع لكلية اللغة العربية ، ويعد الدارس للحصول على العالمية مع اجازة التدريس ، ويقوم الخريجون بالتدريس في المدارس العامة أو في الأزهر الشريف • وتخصص القضاء وهو تابع لكلية الشريعة ، وتخصص الوعظ وهو تابع لكلية أصول الدين • وفي جميع هذه التخصصات - يمنح الدارس شهادة العالمية مع التخصص في الفرع الذى درس فيه •

(د) تخصص الفقه ، وأصول الدين ، وتخصص التفسير والحديث ، وتخصص التوحيد والمنطق ، وتخصص التاريخ ، وتخصص البلاغة والأدب ، وتخصص النحو والصرف ، ومدة هذه الدراسة التخصصية خمسة أعوام •

وبموجب هذا القانون انشئت الكليات الثلاثة :
أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية • وبذلك يعتبر القانون

بداية ميلاد جامعة الأزهر فقد أصبحت الدراسة في فصول دراسية بدلا من نظام الحلقات وأصبح نظام المحاضرات هو السائد .
ولا بد من الإشارة الى أن الأزهر منذ انشائه منذ أكثر من ألفى عام لم يكن مكانا للعبادة فحسب بل كان أيضا مكانا للعلم والدرس والتدريس يتجمع الطلاب حول أعمدته مع أساتذتهم يتثقفون ويتعلمون وبناقشون في شئون الدين واللغة وما يتصل بهما - فالأمر لا يعدو أن يكون مرحلة من مراحل التطوير .

سابعا - قانون عام ١٩٣٦ :

صدر هذا القانون في عهد المشيخة الثانية للشيخ مصطفى المراغي وبموجبه ألغى العمل بقانون عام ١٩٣٠ - وإن كان هذا القانون لم يغير كثيرا من النظام الذي كان قائما بالأزهر لكنه جمع القوانين السابقة في قانون واحد شامل .

وأصبح التعليم بالأزهر أربعة أقسام :

(أ) ابتدائي : وفترة ٤ سنوات يمنح الناجح بعدها الشهادة الابتدائية .

(ب) ثانوي : ومدته خمس سنوات يمنح الناجح بعدها الشهادة الثانوية .

(ج) عال : وهو نفس نظام الكليات الموضح في القانون السابق .

ثامنا - القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ (١٢) :

يعتبر هذا القانون اصلاحا جذريا شاملا أعلى مكانة الأزهر ، وأضاف علوما عدة الى حصيلة العلوم الدينية والعربية ليستطيع رجل الأزهر أن يسهم بدوره كاملا في جوانب الحياة المختلفة في المجتمع الاسلامي بما توفرت له من خبرات •

وقد عمد هذا القانون الى تحقيق عدة اهداف نذكر منها :

(أ) أن يظل الأزهر أكبر جامعة اسلامية •

(ب) أن يقوم برسائله كحصن للدين والعروبة على خير وجه •

(ج) أن يحصل خريجه على قدر من العلم والمعرفة لا تقل بحال ما عن أقرانهم في الجامعات الأخرى ، مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التي يتميز بها الأزهر •

(د) ألا يتخلف الأزهر في مجال العلوم الحديثة والتطورات السريعة التي طرأت وتطراً على مختلف مجالات العلم والمعرفة المختلفة •

والقانون من ١٠١ مادة وقد رتب في ستة أبواب :

(١٢) نص القانون موجود في : الأزهر في ١٢ عاما ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ - ١٢١ ، وقد صدر في ٢٢ محرم ١٣٨١ هـ (٥ يولية ١٩٦١) •

الباب الأول :

عبارة عن أحكام عامة – تتعلق بمكانة الأزهر وأهميته •

كما أشار الى طريقة اختيار شيخ الأزهر ووكيله •

وأشارت المادة الثانية في هذا الباب الى هيئات الأزهر وهى :

المجلس الأعلى للأزهر ، ومجمع البحوث الاسلامية ، وإدارة الثقافة والبعوث الاسلامية ، وجامعة الأزهر ، والمعاهد الأزهرية •

الباب الثانى :

يختص بالمجلس الأعلى للأزهر ، فيتحدث عن تكوينه واختصاصاته •

الباب الثالث :

عن مجمع البحوث الاسلامية ، وإدارة الثقافة والبعوث الاسلامية – فيتناول تشكيل مجمع البحوث الاسلامية ، وهو من عدد لايزيد على خمسين عضوا من كبار علماء الاسلام ، وتحدث عن الشروط الواجب توافرها في عضو المجمع وعن اختصاصاته ومواعيد انعقاده •

كذلك شرح اختصاص إدارة الثقافة والبعوث الاسلامية •

الباب الرابع :

عن جامعة الأزهر •

فتحدث عن اختصاصاتها – وعن كلياتها وهي :

١ – كليات للدراسات الاسلامية •

٢ – كلية للدراسات العربية •

٣ – كلية المعاملات والادارة •

٤ – كلية الهندسة والصناعات •

٥ – كلية الزراعة •

٦ – كلية الطب •

وأشار الى أنه يجوز انشاء كليات أخرى أو معاهد عالية

تابعة لجامعة الأزهر بقرار من رئيس الجمهورية •

وتحدث عن ادارة جامعة الأزهر ، وشروط القبول بكلياتها

المختلفة وعن مجلس جامعة الأزهر واختصاصاته ، وعن عمداء

كليات الجامعة وطريقة تعيينهم ، وعن مجالس الكليات

واختصاصاتها وهيئة التدريس بها وما يتعلق بها خاصا بشروط

التعيين والنقل والترقية .. الخ •

كذلك حددت المادة ٧٥ الدرجات العلمية التي تمنحها

جامعة الأزهر ومعادلاتها في الدرجات الجامعية التي تمنحها الجامعات الأخرى والشروط الواجب توافرها في الدارسين الذين يتقدمون للحصول على هذه الدرجات العلمية •

ويختص الباب الخامس :

بالمعاهد الملحقة بالأزهر والغرض منها ، ومدة الدراسة بها وإدارتها •

أما الباب السادس :

فهو يتعلق بالأحكام الانتقالية التي تسرى إلى أن يتم تنفيذ هذا القانون والتي يحتاج لها الأمر في الفترة ما بين سريان القوانين القديمة وهذا القانون الجديد •

كما أن المادة (٩٩) أشارت إلى اللائحة التنفيذية للقانون وما يجب أن تتضمنه •

وهكذا نجد أن هذا القانون وضع في الاعتبار أن جامعة الأزهر ليست جامعة دينية فحسب وإنما هي جامعة دينية علمية •

وقد فتح هذا القانون أمام جامعة الأزهر آفاقاً بعيدة ومجالات جديدة ونشاطات متعددة - وبعد أن كانت مقصورة على كلية أصول الدين والشريعة واللغة العربية - أصبحت تلبى رغبات الطلاب في مختلف العلوم والفنون ، وصارت تشتمل

كليات الطب والهندسة والتجارة والزراعة والعلوم والتربية ،
والصيدلة واللغات والترجمة ، وأصبح لها فرع للبنات يشمل
كليات العلوم الاسلامية ، والعربية والانسانية ، وكليات للطب
والتجارة والعلوم .

وقد نص هذا القانون على إتاحة فرص القبول للتعليم
بالمجان في كليات الجامعة الأزهرية ومعاهدها للطلاب المسلمين
من كل جنس وكل بلد ، ووضع نظاما للدراسات الخاصة لطلاب
البعوث من غير مواطني الجمهورية العربية المتحدة .

وقد فصل القانون نظام إدارة الجامعة الأزهرية ونظام
العمل بكلياتها وواجبات وحقوق أعضاء هيئات التدريس بها ،
والدرجات العلمية التي يمنحها الأزهر وكلياته - بحيث أصبح
الأزهر في ضوء هذا القانون يؤدي رسالته العلمية - بالإضافة
الى رسالته الدينية - كأرقى وأعرق الجامعات العالمية .

وبالإضافة الى الجامعة الأزهرية تعرض القانون للمعاهد
الأزهرية المتعددة ، وهذه المعاهد تمد طلابها بالثقافة الاسلامية
والعربية الى جانب الخدمات والمعارف التي يتزود بها نظرائهم
في المدارس العادية ، ويتيح لهم الحصول على الشهادة الاعدادية
ثم الثانوية ، وتفتح لهم المجال للاستمرار في الدراسة في كليات
جامعة الأزهر أو غيرها من الجامعات والمعاهد العليا فأصبحت
لطلاب المعاهد الأزهرية فرص متساوية بينهم وبين زملائهم طلاب

مدارس التعليم العام • ونظم القانون واللائحة التنفيذية طريقة
ادارة هذه المعاهد الأزهرية ، ونظم العمل والدراسة بها ،
وشروط القبول • وقد تضاعف عدد هذه المعاهد الأزهرية
وأصبحت هذه المعاهد مراكز قيادية للاشعاع دينيا وعلميا
 واجتماعيا •

ومن أهم المعاهد الأزهرية التي تطورت في ظل النظام الجديد

معهد البحوث الإسلامية :

فقد كان في البداية قسما يلتحق به الطلاب من الذين لم
تؤهلهم سنهم للالتحاق بالمعاهد النظامية ، وكانوا خليطا من
المصريين والوافدين من البلاد الافريقية والآسيوية •

ولكن تطور الأمر فخصص معهد للطلاب الوافدين من
شتى الأقطار الآسيوية والافريقية •

وأعد للمعهد بناء خاص أقيم على مساحة خمسة أفدنة ،
وأقيمت به المدرجات والفصول الدراسية والحمامات والملاعب ،
وأماكن للإدارة وغيرها ، وتكلف انشاؤه ١٥٠٠٠٠٠ جنيه •

وقد تضاعف عدد الطلاب الوافدين الى الأزهر من البلاد
الافريقية والآسيوية •

وفي احصاء ١٩٦٤ كان عدد الوافدين من البلاد الافريقية
كالآتي (١٣) :

| الدولة | العدد |
|---------|-------|
| ليبيا | ١٧٩ |
| الجزائر | ٢٦ |
| تونس | ١٠ |
| المغرب | ٣ |
| السودان | ٦٦٤ |
| الجيشة | ١٠٦ |
| ارتريا | ٤٠٩ |
| الصومال | ١١٦ |
| السنغال | ١٤ |
| غينيا | ٣٥ |
| مالى | ٥٠ |
| نيجيريا | ٤٩ |
| النيجر | ٥١ |
| غانا | ٥٥ |
| غينيا | ٢ |

(١٣) الازهر في ١٢ عاما ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ وما بعدها .

| الدولة | العدد |
|----------------|-------|
| ساحل العاج | ١٨ |
| مدغشقر | ٤ |
| موريتانيا | ٢٢ |
| فولتا العليا | ١٣ |
| سيراليون | ٦٩ |
| الكونغو | ٢١ |
| داهومي | ١ |
| رواندا أوراندي | ٢ |
| ليبيريا | ١٠ |
| توجولاند | ١٥ |
| تنزانيا | ٩ |
| كينيا | ١٦ |
| تشاد | ١٦٦ |
| أوغندا | ١٠ |
| زنجبار | ٢٠ |

وقد تضاعفت هذه الأعداد فيما بعد كما سنشير في الفصول

التالية •

ومن هيئات الأزهر التي نص عليها القانون :

مجمع البحوث الإسلامية (١٤) :

وقد حدد القانون شروط العضوية في هذا المجمع وهيئاته
الثلاثة وهي : المؤتمر ، مجلس المجمع ، والأمانة العامة •

ومؤتمر المجمع من خمسين عضواً على الأكثر ، ثلاثون منهم
من مواطني الجمهورية العربية المتحدة والباقيون من جنسيات
مختلفة •

وعمل مجمع البحوث الإسلامية يتلخص في العمل على
تجديد الثقافة الإسلامية وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات
مذهبية ، وتتبع ما نشر عن الإسلام وتراثه من بحوث الأجانب
للاتتفاع بها أو مواجهتها ، ورسم نظام بعوث الأزهر إلى العالم
الخارجي ومنه •

ويعمل مجمع البحوث الإسلامية على توطيد أواصر التعاون
بين علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها •

ويتبع المجمع :

١ - إدارة البحوث الإسلامية •

(١٤) المادة ٨ من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ •

٢ — ادارة الدعوة والارشاد •

٣ — ادارة البحوث والنشر •

وقد عقد المؤتمر أول اجتماعات في ٢٣ شوال ١٣٨٣ هـ
(٧ مارس ١٩٦٤) وحضر المؤتمر أعلام المسلمين وأئمة التوجيه
الاسلامى وقادة الراى فى ٤٢. دولة •

وقد انتهى المؤتمر أعماله بعدة توصيات تحدد خطة العمل
للمجمع وتبين أوجه نشاطه •

الوافدون على الأزهر والمبعوثون منه ودورهم فى نقل الحضارة والثقافة العربية الى الأقطار الإفريقية الأخرى

محتويات الفصل :

- علاقة العرب بإفريقيا وتطورها بعد ظهور الاسلام .
- الطلبة الوافدون للأزهر من مختلف الأقطار الإفريقية ،
ودور الأزهر فى مداهم بالعلم والمعرفة ، وتيسير
حضورهم وإقامتهم فى مصر (الأروقة ، مدينة البعوث
الاسلامية ، المنح الدراسية ..) .
- مبعوثو الأزهر للدول الإفريقية .
- دورهم فى نشر العلم فى هذه البلاد فى المراحل
التعليمية المختلفة ، قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١

وما تضمنه عن المبعوثين - الشروط التي يشترط
توافرها في المبعوث •

— علماء الأزهر ودورهم في البلاد الافريقية •

— المراكز الاسلامية الافريقية ودور الأزهر في دعمها •

— المؤتمرات الدورية لبحث القضايا الدينية وغيرها من
القضايا التي تهم العالم الاسلامي ، وكذلك حضور
علماء الأزهر للمؤتمرات الاسلامية •

— تزويد المعاهد والجامعات الافريقية بالكتب والأدوات
اللازمة •

— فحص المصاحف والكتب المتداولة في الدول الافريقية
والتأكد من سلامة ما تحتويه •

قبل الحديث عن الوافدين الى الأزهر من طلاب العلم
والمعرفة أو المبعوثين من علمائه الى مختلف الأقطار الافريقية لا بد
من اشارة سريعة الى علاقة العرب بافريقيا وتطورها بعد ظهور
الاسلام •

العلاقات العربية الافريقية قديمة فقد جاء العرب من شبه
الجزيرة العربية للساحل الشرقى لافريقيا لمواجهة لشبه الجزيرة
واستقروا في هذه المناطق الافريقية وأصبح لهم تبادل تجارى
مع السكان الافارقة ، واستقر بعض التجار العرب في هذه
المناطق الافريقية وكونوا امارات عربية نمت وازدهرت وشهد
بعظمتها وتحضرها كل من زارها بعد ذلك من الرحالة العرب
والأجانب (١) •

Coupland, R. : East Africa and Its Invaders (London (١)
1938) P. 155.

وفي فجر الاسلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم أتباعه
بالهجرة للحبشة - فكانت الحبشة من أولى البلاد الافريقية
التي اتصل بها العرب المسلمون وأثروا فيها •

وبعد أن استقر الأمر للمسلمين في شبه جزيرة العرب ،
أخذوا يمدون نشاطهم خارج شبه الجزيرة ، وكان استيلاء
المسلمين على مصر في عام ٢١ هـ - ٦٤١ م ايذانا بامتداد
سلطانهم على الشمال الافريقي كله فتوالت حملاتهم على هذه
البلاد التي كانت خاضعة لنفوذ البيزنطيين رسميا ، وان كان
النفوذ الحقيقي فيها في يد قبائل البربر •

ففي عهد الخليفة عثمان بن عفان أرسلت حملة بقيادة
عبد الله بن حسن بن أبي السرح عامل مصر استطاعت أن توقع
الهزيمة بجيوش قرطاج • وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان جهز
جيشا ضخما من عشرة آلاف مقاتل التقى بالبربر والبيزنطيين
وتوغل الجيش الاسلامي في تونس • وفي عام ٦٦٦ م أعطيت
قيادة الجيش العربي في الشمال الافريقي لعقبة بن نافع الفهري
فبنى مدينة القيروان في قلب البلاد التونسية ليطلع الفتح العربي
بطابع الاستقرار ، فكانت هذه هي الخطوة الأولى نحو ظهور
ولاية اسلامية بهذه البلاد • وفي خلافة يزيد بن معاوية خرج
عقبة بن نافع بجنده يتصدى للاستيلاء على الشمال الافريقي

كله وضمه لحوزة العرب فتقدم في بلاد المغرب حتى وصل الى طنجة واستسلم له أميرها الروماني پوليان كما تقدم في بلاد السوس الأدنى والسوس الأقصى ووصل الى المحيط الأطلسي .
وهكذا خضع الشمال الافريقي كله للدولة الأموية ،
واتشر الاسلام في ربوعه - لكن اضطر الجيش العربى بعد ذلك للانسحاب الى طرابلس بسبب ثورة البربر واحتاج الأمر لجهود أضخم ليسترجع المسلمون مكائتهم في الشمال الافريقي (٢) .

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ندب قائدا من أشهر قواده هو حسان بن النعمان الغساني لمتابعة الفتح والوقوف في وجه البربر وزعيمتهم التي اشتهرت باسم الكاهنة ، ونجح حسان في تحقيق هذا الأمر فهزم جيوش البربر وانتهى الأمر بقتل الكاهنة عام ٨٤ هـ ودخل البربر بعد ذلك في الاسلام وكان منهم اثنا عشر ألف مجاهد مع جيوش المسلمين .

وتولى الأمر في افريقية بعد ذلك موسى بن نصير فنشر الأمن في ربوع الشمال الافريقي وأجاز مولاه طارق بن زياد الى بلاد الأندلس في جيش عظيم من العرب والبربر فاجتاز المكان

(٢) لمن يريد تفاصيل هذه الأحداث ، يرجع الى شوقي الجمل :
المغرب العربى الكبير في العصر الحديث : ١٩٧٧ ، ص ٧ وما بعدها .

الذى عرف باسمه (جبل طارق) وفتح الأندلس ودخل الشمال
الافريقى كله فى حوزة الأمة العربية وأصبح كما قلنا يمثل
الجناح الغربى للعالم العربى والاسلامى •

ولم تقف أهمية هذه الأحداث عند هذا الحد •• فسن
المغرب الأقصى اندفع العرب الى غرب افريقيا • فقد بدأ المغرب
الاسلامى يؤثر فى غرب افريقيا بعقيدته وثقافته - خاصة أن
البربر المسلمين أخذوا يهاجرون فى موجات متتابعة نحو الجنوب،
فوصلت دعوة الاسلام الى ضفاف نهر السنغال ، وتقدمت
جنوبا حتى منحنى النيجر ، ومنذ القرن الثامن الهجرى ازدهرت
الممالك الاسلامية فى نطاق السودان الغربى (٣) •

أما عن الذين نقلوا الحضارة والثقافة العربية الى الأقطار
الافريقية والوسائل والطرق التى انتقلت بها هذه الحضارة
الى مختلف أنحاء القارة :

١ - الطلبة الوافدون (الى الأزهر) :

منذ تحول الأزهر الى جامعة علمية بدأ يستقبل الطلاب
الوافدين من أبناء البلاد الاسلامية وتزويدهم بالعلم والمعرفة ،
وكان عدد كبير من الوافدين منهم من الدول الافريقية ، وبمضى

(٣) بى الجوهري : افريقيا الاسلامية ، ١٩٨٠ ، ص ١٦ •

الوقت وازدهار وتطور التعليم في الأزهر ازداد عدد الوافدين اليه
من مختلف الأقطار الافريقية •

ولم تمدنا المصادر بإحصائيات دقيقة عن عدد الطلاب
الوافدين للأزهر للدراسة من مختلف الأقطار الافريقية خاصة
في السنوات الأولى من تاريخه ، ولعل أول ما وصلنا في هذا
الصدد ما ذكره المقرئى من أنه في سنة ٨١٨ هـ أى في القرن
التاسع الهجرى « بلغ عدد من يقيمون في الجامع الأزهر للدراسة
٧٥٠ رجلا ما بين عجم ، وزبالعة ومن أهل ريف مصر ، ومغاربة
وانه كان كل طائفة منهم رواق عرف بهم » (٤) •

وقد أشار المقرئى الى أنه في أيام وزارة يعقوب بن كلس
بنيت للوافدين للأزهر دور لايوائهم ، وانه كان يعطيهم من ماله
الخاص ويخلع عليهم في الأعياد خلعا وهدايا — وانه كان يفرد
للنساء مجالسا خاصة يتعلمن فيها •

ويشير الى أن الأزهر ظل لمدة طويلة منارا للعلم والمعرفة ،
ولم يكن له في البداية دور رئيسى في السياسة (٥) •

ومما ذكره المقرئى يتضح لنا انه قد خصصت أروقة

(٤) انقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (طبعة بولاق ،
سنة ١٢٧٠ هـ) ج ٣ ، ص ١٦٣ •
(٥) الخطط ج ٢ ، ص ٢٢٦ •

بالأزهر للوافدين من طلاب العلم ، وقد وفر لهم الأزهر اقامة مستقرة في أروقتة كما أجرى عليهم المرتبات ليتفرغوا للعلم والمعرفة .

ومن أهم الأوراق الإفريقية في الأزهر التي جاء ذكرها في المراجع المختلفة (١) :

١ - رواق السنارية : وقد خصص للوافدين من سنار .

٢ - رواق الدارفورية : وقد خصص للوافدين من دارفور .

٢ - رواق البرتية : وقد خصص للطلبة الوافدين من مناطق غرب افريقيا . (ساحل الذهب ، والسنغال ، وغينيا ، ونيجيريا) .

(٦) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأوراق يرجع الى على مبارك : الخلط التوفيقية (طبعة ١٣٠٤ هـ) ج ٤ ، وكذلك منصور على رجب : الأزهر بين الماضي والحاضر (١٩٤٦) ، ص ٢٥ وما بعدها .

ملاحظة : اشار الجبرتي المؤرخ المعروف الى ان جده السابع الشيخ عبد الرحمن رحل من الحبشة الى مصر في أوائل القرن العاشر الهجري ، وجاء الى الأزهر ونولى مشيخة رواق الجبرتية . وقد جاء ذكر كثر من الأقباش الذين وفدوا للأزهر مثل الشيخ فخر الدين عنمان بن على والمتوفى عام ٧٤٣ هـ - ١٣٤١ م ، والشيخ على الجبرتي وكان مقربا للسلطان قابضباي ، وعدد كبير ممن ذاعت شهرتهم العلمية في المجتمع الاسلامي ، بالحبشة .

للمزيد من التفاصيل انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : العلاقات بين مصر والحبشة (١٩٧٥) ص ٧ وما بعدها .

٤ - رواق الجبرتية : وقد خصص للطلبة الوافدين من شرق افريقيا من الحبشة واريتريا والصومال •

٥ - رواق البربر : خصص للطلبة من موريتانيا والمناطق المجاورة •

٦ - رواق الدكارنة : (أو الصليحية) - خصص للطلبة الوافدين من منطقة تشاد والمناطق المجاورة •

٧ - رواق المغاربة : خصص للطلبة الوافدين من بلاد الشمال الافريقي ، (تونس ، الجزائر ، المغرب) وهو رواق كبير وهام •

٨ - رواق الفلاتة : خصص لأهل افريقيا الوسطى •

وقد كان لكل من هذه الأروقة مكتبته العامة بالمجلدات العلمية النادرة ليستفيد بها الدارسون •

الا أنه كثرت بعد ذلك أعداد الطلبة الوافدين من مختلف البلاد الافريقية شمالها وغربها وشرقها - والاحصائيات التي لدينا عن الطلاب الوافدين المقيدون في الأزهر منذ الثلاثينات من هذا القرن تدل على ذلك •

وان كنا لازلنا نفتقر الى احصائيات تفصيلية أكثر دقة •

ومنذ الخمسينات من هذا القرن زاد عدد الوافدين للأزهر من
دول افريقيا زيادة واضحة •

والأزهر يعطى الوافدين اليه من مختلف الأقطار الافريقية
عناية خاصة ، فادارة الأزهر تبدل جهدا كبيرا في سبيل توفير
الراحة لهم وتحقيق مطالبهم المختلفة وتعتبرهم ضيوف مصر
وسفراءها الذين سيحملون راية الاسلام وتعاليمه الى أبناء
جنسهم • وكانت من ثمرات هذه الرعاية أن أصبح الوافدون
الذين تخرجوا في الأزهر من الدعائم القوية في توثيق علاقة مصر
ببلاد كثيرة وشعوب افريقية متعددة واكتسب الأزهر بذلك في
المحيط الافريقى قدسية ونال المنتسبون اليه من هذه الشعوب
احتراما وتقديرا (٧) •

وقد زاد عدد الوافدين على الأزهر من طالبى العلم ، ومن
علماء بغداد بعد سقوط بغداد في يد التتار ، فأصبحت للأزهر
مكانة خاصة في العالم الاسلامى ، كما أن احياء الخلافة العباسية
في مصر في عام ١٢٦١ جعل لمصر وللأزهر مكانة خاصة في
العالم الاسلامى •

وكان الطلاب الوافدون الى الأزهر يقيمون - كما أشرنا -
في الأروقة ، ولما زادت أعدادهم أسكنوا في إحدى عمارات

(٧) الأزهر ، في ١٢ عاما ، مرجع سابق ، ص ٢١١ •

معهد القاهرة - ثم استؤجرت لاقامتهم بيوت وعمارات سكنية - ولكن اهتمت الحكومة المصرية أخيراً ببناء مدينة خاصة للوافدين ، فأقيمت (مدينة البحوث الاسلامية) على مساحة ثلاثين فدانا تتسع لأكثر من خمسة آلاف طالب وتتخللها الحدائق والمنتزهات ، وتضم المدينة ٤١ عمارة سكنية يتكون كل منها من ثلاثة طوابق ، وكل دور من جناحين وأعدت بالإضافة الى ذلك حجرات متسعة للمذاكرة ، وأماكن للاطلاع ، وأقيم بالمدينة مسجد متسع على الطراز العربى ، وزودت المدينة بالخدمات الممتازة لساكنيها سواء من الناحية الطبية أم الخدمات العامة - فقد أقيم بها مستشفى خاص ، وزود بكل ما يحتاجه لتقديم الرعاية الطبية للوافدين •

كذلك زودت المدينة بمغسل ميكانيكى ، ومضخة خاصة لرفع المياه ، كما زودت بشبكات التليفون بالإضافة الى المرافق الأخرى اللازمة ، كما أنشئت بها جمعية تعاونية استهلاكية •

كما أقيم بها استاد رياضى وغير ذلك من أماكن للترفيه (٨) •

هذا وقد حددت الأهداف من انشاء المدينة فيما يلى :

-
- (٨) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٢ وما بعدها •
وكذلك محمد عبد الله عنان : تاريخ الأزهر (١٦٥٨) ، ص ٣٠٥ •
وللمزيد من التفاصيل يرجع الى لائحة طلاب الأزهر • •

١ - توثيق العلاقات واذابة الفوارق بين الشعوب
الاسلامية •

٢ - توفير أسباب الراحة للطلاب الوافد في معيشتهم حتى
يتفرغ للدراسة •

٣ - مقاومة التمييز العنصرى الذى جعل من البشر سادة
وعبيد •

هذا وللتيسير على الراغبين فى الحضور للأزهر من البلدان
الافريقية المختلفة وللتعرف على الفرص المتاحة لهم زودت
السفارات المصرية والمكاتب الثقافية الملحقة بها فى البلاد الافريقية
المختلفة بمعلومات كافية ودليل يوضح رسالة الأزهر ونظمه
التعليمية المختلفة ومراحله ومناهجه ، والشهادات التى يمنحها ،
والبيانات الكافية عن المعاهد المختلفة وشروط القبول فيها ،
والقوانين التعليمية وبيانات عن المنح التى يقدمها الأزهر لرعايا
البلاد الافريقية • وترحب المكاتب الثقافية بتلقى طلبات الالتحاق
بالأزهر لتقوم بفحصها وارشاد المتقدمين لاستيفاء البيانات
المطلوبة ، وترسل المكاتب الثقافية هذه الطلبات الى ادارة
البعوث الاسلامية لاتخاذ الاجراءات الخاصة بالتحاق الراغبين
فى ذلك •

وعادة يصنف الوافدون الى اربع فئات :

(أ) وافدون على منح وحاصلون على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

(ب) وافدون على منح لكنهم غير حاصلين على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

(ج) وافدون للدراسة على حسابهم أو على حساب حكوماتهم وحاصلون على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

(د) وافدون للدراسة على حسابهم (أو حساب حكوماتهم) وغير حاصلين على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

وتقدم الجهة الدراسية للطالب تقارير سنوية عن سيره في الدراسة وذلك لإدارة البحوث الإسلامية (١) . وهذا يدل على مدى الاهتمام الذي يبذله الأزهر وكلياته ومعاهده لضمان استمرار الوافدين ، وكفالة حياة علمية سليمة لهم .

ولم تقتصر الجهود المبذولة على الطلبة الوافدين فكان لا بد أن يمتد نشاط الأزهر واهتمامه الى الطالبات خاصة بعد أن أنشئت كلية البنات بجامعة الأزهر . ومن إحصائيات مراقبة البحوث الإسلامية عن عدد الطلبة والطالبات الوافدين المقيدين

(١) لائحة طلاب الأزهر .

بالأزهر تتضح الزيادة المستمرة لهؤلاء الوافدين من الطلبة والطالبات •

كما أن المبالغ المخصصة للطلبة الوافدين تزداد عاما بعد عام ، وقد بلغ من اهتمام الأزهر بالوافدين اليه أنه وكل الى بعض الأساتذة أمر تعليم اللغة العربية لمن لا يجيدونها من الوافدين ، وتتم هذه الدراسة بقسم الدراسات الخاصة (١٠) •
ومن التيسيرات التي تمنح للطلاب الأفارقة عند حضورهم للأزهر للدراسة به :

١ - المنح الدراسية التي أشرنا اليها والتي زادت لكل طالب مستوف للشروط من ١٠ جنيهات شهريا وأصبحت ٢٠ جنيها •

٢ - التسهيلات المقدمة للطلاب عند حضورهم للدراسة ومنها تحمل الأزهر النفقات لسفر الطلاب ، وصرف بدل استعداد لهم للعام الدراسي بمجرد وصولهم للقاهرة •
تسهيل نقل الطلاب لكتبهم ولأمتعتهم التي يحتاجون اليها بالقاهرة (١١) •

(١٠) يصدر مجمع البحوث الاسلامية احصائيات عن عدد الطلاب الأفارقة من مختلف الدول الافريقية الملتحقين (بالدراسات الخاصة) - وعددهم يزداد كل عام •

(١١) للتفاصيل ، يرجع الى ادارة البحوث الاسلامية - بياناته خاصة بالطلبة الوافدين •

ويلتحق الوافدون بعد حضورهم للقاهرة اما بمعهد القاهرة
أو القسم العام بالأزهر ، وقد أخذت اعداد هؤلاء الوافدين
تزداد باستمرار وتتعدد الأقطار الأفريقية التي يفدون منها .

ويظهر التأثير الحقيقي للأزهر في الخارج من تتبع أحوال
ونشاط هؤلاء الوافدين بعد عودتهم إلى بلادهم بعد نخرجهم
من الأزهر أو بعد حصولهم على قدر كبير من العلم والمعارف
فيصومون بنشر هذه التعاليم في بلادهم في المدارس والمساجد
وفي الجامعات وفي شتى أنحاء مجتمعاتهم المتعددة ، والكل هناك
يكن لهم كل تقدير واحترام ويهتدى بأرائهم ويسير عليها لأنهم
قد اغترفوا من تعاليم الإسلام في رحاب الأزهر الشريف
وتفقهوا في الدين وتعلمدوا على أيدي علماء الأزهر الأجلاء .

وهؤلاء الطلاب الوافدون إلى الأزهر يكون لهم — كما
ذكرنا — غالباً شأن كبير في بلادهم حيث يتولون فيها قيادات
سياسية وتعليمية وغيرها من الخدمات الاجتماعية المتعلقة بشئون
بلادهم ، فيتفوقون فيها ويكون لهم تأثير كبير في بلادهم ، ثم
بلاشك يعتبرون لسان الأزهر المعبر في تلك البلاد ، وصورته
المشرقة وصوته المدوي بتعاليم الإسلام ، ومنارته المشعة بأهدافه
السامية في شتى الأرجاء (١٢) .

(١٢) محمد محمد شتا زيتون : تأثير الأزهر في الخارج ، بين الماضي
والحاضر (مجلة الأزهر ، الجزء التاسع ، السنة الخامسة والخمسون ،
يونية ١٩٨٣ ، ص ١٣٠ وما بعدها) .

وقد كان الوافدون للأزهر يتقلدون في مجتمعاتهم بعد عودتهم لبلادهم المناصب الهامة مثل منصب القضاء والافتاء وغيرها - والحقيقة ان سلوك هؤلاء الوافدين في مجتمعاتهم وبين مواطنيهم كان مثار الإعجاب والتقدير .

فقد تدرب هؤلاء الوافدون في رحاب الأزهر على المساواة وأنعدمت فيهم الفروق فأروقتة كانت مفتوحة لجميع الطلاب على السواء ، وحلقاته ترحب بكل الوافدين بعضهم ترسلهم حكوماتهم ، وبعضهم نرسلهم هيئات اسلامية وبعضهم يأتون بأنفسهم وعلى نفقتهم الخاصة .

٢ - مبعوثو الأزهر للدول الافريقية :

لا يقتصر دور الأزهر الحضارى والثقافى فى افريقيا على ما يقوم به الوافدون للأزهر عند عودتهم لبلادهم وعلى صدى ما تعلموه وما تزودوا به من علم وثقافة ومعرفة - فقد اتجه الأزهر - بالاضافة الى استقبائه لأبناء الدول الافريقية - الى ارسال بعض أبنائه من العلماء والمتخرجين فى رحابه سواء على نفقة الأزهر أم على نفقة البلد المبعوث اليها ، وسواء أكانت هذه البلاد عربية اسلامية أم غير اسلامية وفيها أقلية اسلامية حيث يقوم هؤلاء المبعوثون بنشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية وتعليم مبادئ الاسلام ، وقد باشر الأزهر هذ المهمة

منذ أمد طويل من عمره المديد فعن طريق هؤلاء المبعوثين
انتشر الاسلام ومبادئه الى بقاع كثيرة في افريقيا •

وعندما تلقى نظرة على مراحل التعليم المختلفة في البلاد
العربية والافريقية من ابتدائي الى اعدادى وثانوى سنجد كثيرا
من خريجي الأزهر قد قاموا منذ فترة طويلة بالتدريس فيها ،
ومازالوا يضطلعون بهذه المهمة حيث يعملون على تثقيف وتعليم
أبناء هذه البلاد (١٣) •

بل اننا اذا ألقينا نظرة على كل الجامعات التي قامت في
العالم العربى والاسلامى وفي الدول الافريقية المستقلة حديثا
سنجد أنها قامت على غرار الأزهر واقتبست من مناهجه ، وقام
الأساتذة من الأزهر أو من المتخرجين فيه بالمشاركة في وضع
المناهج لها وتأليف بعض الكتب التي تدرس فيها ، ومازال
الكثيرون من أبناء الأزهر يقومون بالتدريس في تلك الجامعات
المنتشرة في أنحاء العالم العربى وافريقيا • وفي مطلع كل عام
جامعى يأتى الى الأزهر بعض القائمين على هذه الجامعات
ليستعيروا لجامعاتهم بعض العلماء من الأزهر في شتى التخصصات
حيث يمدهم الأزهر بما يحتاجون اليه وهو سعيد بقرير العين •

(١٣) السيد حسن قرون : الأزهر في القرن الثامن عشر الميلادى (مجلة
الأزهر - الجزء الثامن عشر - السنة الخامسة والخمسون - دى الحجة ١٤٠٣ هـ
سبتمبر ١٩٨١ ص ١٨٢١ وما بعدها) •

وهكذا باشر الأزهر نشاطه الدينى والثقافى منذ أمد طويل عن طريق علمائه ، فانساب الاسلام الى بقاع كبيرة من القارة الافريقية واتخذت الثقافة العربية طريقها الى الدول الافريقية المختلفة . وكانت هذه الدول قد خضعت لسيطرة المستعمرين فترة طويلة ، وحاولت الدول الاستعمارية أن تطمس حضارة هذه الدول وثقافتها وأن تلقى ظللا على ما كانت لها من حضارة زاهرة فى وقت كانت أوروبا نفسها لا تزال فى عصور الظلام أو تحاول أن تخرج من هذه العصور . ولعل من يتعمق فى دراسة التاريخ السياسى والحضارى للدول الاسلامية السودانية فى افريقيا الغربية كدولة غانا ، ودولة مالي ، وغينيا ، وكانم ، وبرنو - يلتمس مدى ما كانت عليه الامبراطوريات التى قامت فى هذه البلاد قبل الاستعمار الأوروبى من تحضر وتقدم وازدهار وما أصاب هذه الحضارات نتيجة الاستعمار (١٤) .

وقد اهتمت مصر بالمبعوثين الأزهرين اهتماما كبيرا ادراكا منها لأهمية الرسالة التى يقومون بها - فيسرت لهم السفر الى البلاد الافريقية لأداء رسالتهم فى هذه البلاد . ولما صدر قانون تطوير الأزهر سنة ١٩٦١ ، وتضمنت الدراسة فيه الكليات

(١٤) للدراسة التفصيلية لأوضاع هذه الدول الاسلامية يرجع الى :
عبد الرحمن زكى (دكتور) : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا
العربية (١٩٦١) .

العملية التي يجسج خريجوها بين الثقافة الدينية والثقافة العلمية المطلوبة في مختلف المجالات - كان الهدف الأساسي هو اعداد هؤلاء الخريجين لسد الفراغ في البلاد الافريقية من النواحي المتعددة .

وتشرف ادارة البعوث الاسلامية التابعة لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر على المبعوثين الأزهرين للبلاد الافريقية .
وكان عدد المبعوثين من الأزهر للبلاد الافريقية في عام ١٩٧٢/٧١ حوالي ١٥٠٠ مبعوث أوفدوا الى البلاد الآتية تلبية لرغبتها : ارتريا ، الجزائر ، السنغال ، السودان ، بورندي ، تنزانيا ، سيراليون ، ليبيا ، مالاغاشي ، موريتانيا ، نيجيريا - وقد تضاعف الأعداد في السنوات التالية (١٥) .

ويتلقى الأزهر كل عام عشرات الطلبات من الأقطار الافريقية ليرسل لها بعثات من علمائه للتعليم في معاهدها ، ويحرص الأزهر على تلبية هذه الرغبات . وهناك قواعد دقيقة لاختيار العناصر الصالحة للقيام بهذه المهمة السامية فيشترط في المبعوث عدة شروط منها (١٦) :

(١٥) للوقوف على اعداد المبعوثين لكل بلد افريقي في السنوات المختلفة يرجع الى : الأزهر : المقوم العلمي لمجمع البحوث الاسلامية .

محمود أبو العينين : نبذة في تاريخ الأزهر (مطبعة الأزهر ١٣١٨ هـ - ١٩٤٦ م) سن ٩٣ وما بعدها .

(١٦) الأزهر : الامانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية ، شروط الراغبين

في الانبعاث .

١ - أن يكون قد أمضى في التدريس أو الوعظ على الأقل خمس سنوات •

٢ - أن يجتاز بنجاح اختبارا شفهيًا يعقد لهذا الغرض •

٣ - أن تكون تقاريره الفنية والسرية جيدة •

٤ - ألا يزيد سنه على ٦٠ عاما •

٥ - أن يكون قد أمضى على انبعاثه من قبل مدة لا تقل عن ثلاث سنوات •

وعادة يكون تحديد الهدف من الانبعاثات :

١ - لتدريس المواد الدراسية للمراحل التعليمية المختلفة •

٢ - الوعظ والارشاد •

٣ - هناك مبعوثون للدعوة الإسلامية في البلاد غير الإسلامية •

٤ - رؤساء بعثات ، وأعضاء المجالس الإسلامية •

٥ - فنيون واداريون •

والمبعوثون اما أن يكونوا عن طريق الاعارة أو التعاقد الشخصي • وكما ذكرنا سابقا - فان المبعوثين يكونون اما على نفقة الأزهر أو على نفقة الدولة المعارين لها - اذا كانت الدولة قادرة على دفع مرتباتهم •

٣ - العلماء :

بالإضافة الى المبعوثين العاديين كثيرا ما يرسل الأزهر من علمائه البارزين من يقوم بتعليم أحكام الاسلام وفلسفته لمعتنقيه ، ولتوضيح الكثير من المفاهيم الغامضة - وقد كان لهؤلاء العلماء أثر كبير في البلاد الافريقية التي حلوا بها . هذا وقد قامت في شمال افريقيا وفي غربها - كما سنشير بشيء من التفصيل فيما بعد - حركات اصلاحية دينية بارزة كان على رأسها مصلحون تأثروا بالأزهر وتعاليمه وقد هالهم ما شاهدوه في هذه البلاد الافريقية التي انتشر فيها الاسلام - من أخطاء في تطبيق مبادئ الاسلام ومن بعد عما تعلموه عن دعوة الاسلام ومبادئه .

٤ - دور الأزهر في دعم المراكز الاسلامية الافريقية :

تنتشر المراكز الاسلامية في مختلف الدول الافريقية بشمال القارة وغربها وشرقها - خاصة تلك التي انتشر فيها الاسلام . ومن أهم المراكز : المركز الثقافي العربي في فريتاون بسيراليون ، ومركز الثقافة العربية في أبادان بنيجيريا ، والمركز الاسلامي في دار السلام في تنزانيا ، والمركز الثقافي الاسلامي في ساحل العاج .

وأهم ما تؤديه هذه المراكز الاسلامية هو نشر الدعوة

الاسلامية ، والاهتمام بالثقافة العربية ورعاية المسلمين ،
والوقوف على أحوالهم وشئونهم وافادتهم في متطلبات حياتهم
الشخصية كعقود الزواج والفتاوى الشرعية والاستفسارات
الدينية ، وحمايتهم من أعداء الدين وتثقيفهم دينيا حتى يتسكوا
بدينهم ويعملوا لنشر مبادئه .

**ولتحقيق هذه الأهداف تقوم هذه المراكز بالنشاطات
الآتية :**

١ - تعليم اللغة العربية لمن يرغب من المسلمين الذين
يرغبون في تعلم هذه اللغة باعتبارها لغة القرآن .

٢ - شرح مبادئ الدين وتعاليمه وتفسير ما قد يكون
غامضا لدى الناس مما يدعو اليه الدين أو ينهى عنه .

٣ - تنظيم المحاضرات التي ترتبط بالأحداث التاريخية
الهامة التي مرت بالأمة الاسلامية والعربية .

٤ - التناء أحاديث بالمجمعات الاسلامية والمدارس .

٥ - اصدار مجلات دورية تربط القراء في هذه البلاد
بباقي اخوانهم في العالم الاسلامي .

٦ - تقديم خدمات اجتماعية وثقافية ، وتنظيم وسائل
تحقيق التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع الواحد .

ه - تزويد المعاهد الاسلامية والجامعات الافريقية بالكتب والأدوات :

يشعر الأزهر أن من واجبه أن يزود المعاهد الاسلامية بمختلف الدول الافريقية والجامعات الافريقية بحاجتها من الكتب الدينية ، والأدوات التي تساعد في أداء رسالتها على أحسن وجه .

ومن أمثلة هذه المعاهد :

بالصومال : معهد الدراسات الاسلامية ، ومعهد برعو الدينى ، ومعهد مقديشيو ، ومعهد بلدوش ، ومعهد هرجيسا .

في السودان : معهد أم درمان الدينى ، ومدرسة الأحفاد بأم درمان ، والمعهد الدينى في حلفا ، والمعهد الدينى في شجرة غوردون ، والمعهد الدينى في الملكال ، ومعهد جوبا .

وفي جيبوتى : معهد اعداد المعلمين .

وفي السنغال : معهد كاوالاك ، ومعهد الحاج محمد المرتضى .

وفي جزر القمر ، مدارس مزنى .

وفي تشاد : المركز الاسلامى .

وفي ليبيا : معهد البيضا الدينى ، معهد القويسرى ،

والجامعة الليبية (جامعة السنوسى سابقا) •

وفي ارتريا : معهد أسمره الدينى •

وفي نيجيريا : معهد العلوم العربية فى لاجوس ، ومدرسة
دار العلوم فى أبادان •

وفي غانا : مدرسة المقاصد الاسلاميه ، ومدرسة جامع
الشريف محمد عبده •

وهناك العديد من الهيئات العلمية الافريقية الأخرى التى
ترتبط بروابط متعددة بالأزهر والتى يحرص الأزهر على دعمها
علميا وثقافيا وتزويدها بحاجتها من الكتب الدينية وغيرها •

٦ - عقد المؤتمرات السنوية وحضور المؤتمرات الافريقية :

حرص الأزهر - خاصة منذ عام ١٩٦٤ - على أن يجمع
المسلمين جميعا فى مختلف الأقطار الافريقية فى شبه مؤتمر سنوى
يناقش القضايا الهامة التى يمر بها العالم الاسلامى • وقد عقد
فى مارس ١٩٦٤ مؤتمر عام فى رحاب الأزهر نوقشت فيه كثير
من الموضوعات التى تهم الأمة العربية والاسلامية وقد اشترك فيه
عدد غير قليل من مختلف الأقطار الافريقية (١٧) •

(١٧) عدنان عبد العزيز سليمان (دكتور) : رسالذ الأزهر الثقافيه
فى بعض دول افريقيا (رساله دكتوراه غير منشوره - جامعه عين شمس - كلية
اللغة العربية ١٩٧٢) •

بالإضافة الى هذا يحرس الأزهر على أن يكون له تمثيل
ووجود ومشاركة فعلية في المؤتمرات الافريقية التي تعالج
وتناقش قضايا تهم العالم الاسلامي •

ومن يطلع على بيانات ادارة التخطيط والاحصاء والمتابعة
بجامعة الأزهر يدرك مدى ما أسهم به علماء الأزهر من أبحاث ،
واشتراك في مناقشات في مختلف المؤتمرات الافريقية • وتحرس
الدول الافريقية وجامعاتها ومختلف الهيئات الثقافية والدينية فيها
على دعوة الأزهر لارسال ممثلين له لحضور المؤتمرات الهامة
التي تعقدها وتيسر ادارة الأزهر مهمة سفر علمائها لهذه
المؤتمرات ، وعادة يقدم ممثل الأزهر بعد عودته تقريراً وافياً
عن المؤتمر الذي اشترك فيه وما قدمه من أبحاث ونشاطات
أخرى لتطمئن الادارة على قيام مبعوثيها بواجبهم على
خير وجه •

٧ - فحص المصاحف والكتب الدينية المتداولة في الدول الافريقية :

كان طبيعياً أن يتنبه رجال الدين والأزهر - بعد أن انتشر
تداول المصاحف والكتب الدينية في البلاد الافريقية التي انتشر
فيها الاسلام - الى أهمية التأكد من سلامة المصاحف والكتب
المتداولة وأنها لا تحتوي على أية تحريفات أو شوائب قد يقع

ففيها النساخ أو عمال المطابع بقصد أو بغير قصد - ولذا أنشئ قسم خاص بمجمع البحوث الإسلامية لمراجعة المصاحف التي تعد للتوزيع وفحصها فحصا دقيقا بواسطة لجان خاصة • ويشرف هذا القسم على منح تصاريح تصدير المصاحف الموثوق بها والتي تست مراجعتها للدول الأفريقية •

وبالإضافة الى ذلك يشرف هذا القسم على فحص الكتب التي تنشر باللغة العربية أو اللغات الأجنبية والتي تحتوى معلومات دينية أو غيرها مما يسس العقيدة والدين الاسلامى • وبناء على هذا الفحص يصدر الأزهر رأى علمائه فى الكتاب المنشور. ومدى تمشيه مع الحقائق الدينية •

الدول الافريقية التي لعب الأزهري دورا هاما في نشر الاسلام والثقافة العربية فيها

محتويات الفصل :

- انتشار الاسلام والعروبة في افريقيا منذ ظهور الاسلام ♦
- دور الأزهري في السودان ♦
- دور الأزهري في شرق افريقيا ♦
- دور الأزهري في شمال افريقيا ♦
- دور الأزهري في غرب افريقيا ♦

اتصل العرب بإفريقيا منذ زمن طويل ، وهاجر عدد غير قليل الى شرق القارة - على وجه الخصوص - واستقروا فيها وكونوا امارات عربية في الأماكن التي استقروا فيها واندمجوا مع سكانها الافارقة وأثروا فيهم وتأثروا بهم . وترتب على هذا الاحتكاك بين العرب والافارقة ان انتشرت اللغة العربية بين السكان في المناطق التي حدث فيها هذا التلاقى . ودخلت بعض الألفاظ العربية في المعاملات وغيرها ، وكانت اللغة السواحلية من ثمار هذا الاحتكاك بين العرب والافارقة كما ظهرت آثار هذا الاتصال في كثير من المظاهر الحضارية الأخرى .

وكما ذكرنا فقد أعطي الاسلام دفعة جديدة لهذه الموجات العربية الخارجة من شبه جزيرة العرب فاندفعت الى القارة الافريقية ننشر دينها ولغتها وحضارتها . على أن انشاء الأزهر أعطى دفعة جديدة للاسلام والمسلمين ، فقد أصبح المنارة التي تضيء الطريق - خاصة أن رجال الأزهر اعتبروا أن رسالتهم

لا تقتصر على المجال المحلي بل يجب أن تتسع لتشمل أكبر مساحة ممكنة من القارة الافريقية ولتصل الى أكبر عدد من سكانها .

وقد اتخذ الاسلام في افريقيا طرفا عدة . ولاشك في انه حين بدأ الازهر رسالته كان الاسلام قد وصل الى مناطق عدة من القارة - لكن ضاعف قيام الازهر برسالته ونشاطه من انتشار الاسلام فقد توافد عليه الكثيرون من طلاب العلم والمعرفة ، كما انتشر رجاله وعلماءؤه في مختلف أنحاء القارة ينشرون الاسلام والثقافة العربية بين أبناء القارة .

ولعله من المناسب أن تتبع دور الازهر في بعض هذه الأقطار الافريقية لنعرف الى أى مدى أثر في هذه الأقطار وفي أبنائها .

اولا - دور الازهر في السودان (السودان وادى النيل) :

ارتبط تاريخ السودان الحضارى بمصر منذ أقدم العصور ، فلما وصلت المسيحية مصر واعتنقها عدد من سكان البلاد وكانت مصر في ذلك الوقت ولاية رومانية - تسربت منها الى بلاد النوبة الواقعة جنوب مصر (السودان الشمالى حاليا) . حدث ذلك منذ القرن الأول للميلاد وعلى يد مصريين ممن اعتنقوا هذه الديانة من قبل ونزحوا للجنوب هربا من الاضطهاد الذى كان

موجهها اليهم - لاسيما في عهد الامبراطورين تارجيان ،
ودقلديانوس ، وبالتدريج زاد عدد النوبيين الذين اعتنقوا
المسيحية ، وانهى الأمر بأن صارت المسيحية الديانة الرسمية
لمملكة النوبة الشمالية وانتقلت الى النوبة الجنوبية (مملكة
علوة) حتى أصبحت تقريبا ديانة جميع النوبيين (١) .

وقد عاشت المسيحية في السودان نحو تسعة قرون حتى
حل محلها الاسلام .

وبعد فتح العرب لمصر في عام ٦٤١ م بدأت الاتصالات بين
مصر الاسلامية وبلاد النوبة . فقد أرسل عمرو بن العاص جيشا
لبلاد النوبة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح وانهى
الأمر بعقد (صلح النوبة) بين الطرفين (٢) .

وبعد أن أصبح عبد الله بن سعد بن أبي السرح واليا لمصر
سنة ٣١ هـ تجددت الاشتباكات وغزا عبد الله بن سعد النوبة
وعقد صلحا مع ملكها . وقد أطلق بعض الكتاب كالمقرئزى

(١) مصطفى محمد مسعد : الاسلام النوبة في العصور الوسطى ،
س ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) البلاذرى - فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ .
والدراسة التفصيلية للظروف التي انتشر فيها الاسلام والثقافة
السربية في السودان وادى النيل يرجع الى :
شوقي الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ، وحضارته وعلاقاته بمصر ،
ج ١ ، (١٩٦٩) ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

على هذه الاتفاقية لفظ (البقط) ، وقد نظمت هذه الاتفاقية العلاقات السلمية والتبادل التجارى بين القطرين (٣) .

وأخذت القبائل العربية تهجر الى بلاد النوبة مما ادى لانتشار الاسلام فيها ، هذا بالإضافة الى ان التجار العرب كانوا خير دعاة للاسلام فى هذه البلاد . لما أن الأحداث السياسية فى الدولة الإسلامية أدت لهرب بعض المغلوبين على أمرهم الى بلاد النوبة - كما حدث حين انتقلت الخلافة من بنى أمية الى بنى العباس .

وحدث حين آلت الأمور فى مصر للفاطميين أن استقر أفراد من قبيلة ربيعة جنوب أسوان وقوى نفوذهم وأصبحت لهم سطوة وكلمة على المناطق من أسوان والمستدة جنوباً لبلاد النوبة التى كان سلطان ملوكها قد ضعف الى درجة أن أصبحوا لا يستطيعون نهية الأمان والطبائنة لأتباعهم .

وقد رأت الدولة الفاطمية أن تعترف بسلطة قبيلة ربيعة ، وأن تقرب اليها زعيم القبيلة أبو مروان بشر بن اسحق .

وهكذا قامت فى هذه الجهات - فى هذه الفترة التى

(٣) انظر المقرئى : المواعد والاعتبار فى ذكر الخطط الأسارى ، ج. ١ ، ص ٣٢٣ . وللشرح المستفيض لبنود هذه الاتفاقية يرجع الى : شوفى الجمل : المرجع السابق ، ص ٢٣ وما بعدها .

تحدث عنها والتي بنيت فيها القاهرة والأزهر - امارة عربية اسلامية سيكون لها دور فعال في نشر الاسلام والثقافة العربية في بلاد النوبة وبين سكانها .

وتشير المراجع الى أن القائد جوهر الصقلي عقب فتحه لمصر أرسل رسوله عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني برسالة الى ملك النوبة - كان مما جاء فيها دعوته لاعتناق الاسلام .

وتذكر المراجع التاريخية حادثة كان لها أيضا أثرها في هذا العهد في استقرار إحدى القبائل العربية القوية في جنوب مصر وشمال النوبة . ففي عهد خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي حدث أن هرب أحد الخارجين على الخليفة وهو أبو ركوه ، وهو من سلالة بني أمية ، وفر من مصر الى الجنوب فاستعان الخليفة بزعيم قبيلة ربيعة المدعو أبو المكارم هبة الله ، واستطاع هذا الزعيم أن يقبض على أبي ركوه - فكافأه الخليفة الفاطمي بمنحه لقب (كنز الدولة) ، وتوارث أبنائه اللقب وتسموا بالكنوز وانتشروا في المنطقة الممتدة من أسوان الى كورسكو ، وقد اشار ابن الأثير في كتابه الكامل الى هذه الحادثة سنة ٣٩٧هـ (١٠٠٧ م) كما أشار اليها المقرئ في خطه (٤) .

(٤) المقرئ : الخطط ، ص ١٩٩ .

وقد أصبح لهذه القبيلة وما زال دور كبير وتأثير في سكان السودان الحالي •

وأشير الى أن الفاطسيين أكثروا من استجلاب السودانيين وجندوهم في صفوف الجيش الفاطمي خاصة في عهد الخليفة المستنصر ، وقد كانت أمه سودانية • ويروى أنهم بلغوا في عهده الخمسين ألفا ، وأصبحوا قوة كبرى في مصر حتى أن صلاح الدين الأيوبي فيما بعد اضطر لمحاربتهم ليقوم دولة الأيوبيين •

وقد ترتب على هجرة العرب واستقرارهم بالسودان بل وهجرة بعض النوبيين الى مصر — أن دخلت أعداد كبيرة من النوبيين في الاسلام فتعربوا لغة وثقافة ودينا — حدث ذلك دون ضجة أو اضطراب (٥) •

وقد ترتب على المصاهرة بين العرب وبين النوبيين ظهور مجموعات نوبية مستعربة من أهمها الكنوز ، والكوت ، والمحس ، والدناقلة • وظل الكنوز حتى أوائل القرن السادس عشر ، يمثلون أقوى هذه العناصر (٦) •

وانتهى الأمر بقيام سلطنات أو دول عربية اسلامية في

Trimingham, S. : Islam in the Sudan P. 617.

(٥)

(٦) مصطفى مسعد : مرجع سابق ، ص ١٨٢ •

السودان منها سلطنة سنار أو سلطنة الفونج نسبة الى الأسرة
السودانية الحاكمة بها ، ثم سلطنة الفور في دارفور ، ومملكة
تقلى في كردفان ، وقد ظلت كلها قائمة حتى بدأ محمد على
يسد سلطانه الى مصر فالسودان (٧) .

وهذا التطور الذى حدث فى الفترة الواقعة بين فترتين -
الفترة التى كانت متصلة حضاريا وثقافيا وسياسيا فى بعض
الأحيان بتاريخ مصر القديم - وبين الفترة الحديثة من تاريخ
السودان والمرتبطة أيضا بتاريخ مصر الحديث - تطور هام
وسريع بالنسبة لانتشار الاسلام والثقافة العربية بل والدماء
العربية فى السودان .

على أنه منذ القرن الرابع عشر بدأ بعض العلماء المسلمين
الذين درسوا فى الأزهر يفتدون من مصر الى السودان
ويستقرون فيه ويعمرون المساجد ويعلمون أهله مختلف علوم
اللغة العربية والدين .

وقد كان أثر مصر فى السودان علميا أكثر منه صوفيا
خالصا - فكان من يذهب من السودان الى الأزهر الشريف

(٧) لمزيد من التفاصيل عن السلطنات الاسلامية بالسودان يرجع الى :
شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ٣٠٠ وما بعدها .

يعود بحصيلة ممتازة من علوم الفقه والتوحيد واللغة - وكان من يهاجر من مصر للسودان فقيها يصير فقيها متصوفا (٨) .

الرواد السودانيون من متخرجى الأزهر :

يصعب أن نعطي بيانا كاملا بالرواد الأوائل من السودانيين من متخرجى الأزهر لكن يكفى ان نذكر بعضهم لالقاء الضوء على جهودهم فى نشر الثقافة الاسلامية والعربية فى وطنهم . فمنهم الشيخ محمود أحمد العركى الذى قيل انه أنشأ خمس عشرة مدرسة على النيل الأبيض فى منطقة الكوه جنوب الخرطوم وقد درس فى هذه المدارس عدد كبير من المواطنين السودانيين .

ويذكر ود ضيف الله فى كتابه الطبقات - انه لما نشأت دولة الفونج الاسلامية فى سنار كان العرب الذين أسسوا هذه الدولة قد نسوا الكثير من تعاليم دينهم فكان اسلامهم اسما - ووصلت الفوضى والجهل بالدين الى أن الرجل كان يطلق امرأته ويتزوجها غيره فى نهارها بدون عدة ، وظل الحال كذلك حتى قدم من مصر الشيخ محمد العركى ، فنشر تعاليم الاسلام بين الناس وعلم الناس العدة .

ومنهم أولاد جابر الأربعة وهم من أسرة غلام الله بن عابد اليمنى الذى وفد للسودان من اليمن فى أواخر القرن الخامس

(٨) عبد القادر محمود : الفكر الصوفى فى السودان ، ص ٥٨ .

عشر الميلادي، وقد ولدوا بالسودان ثم سافروا الى مصر حيث درسوا في الأزهر على الشيخ محمد البنوقري وغيره من أعلام المالكية في مصر ، فدرسوا أصول الفقه المالكي واللغة والنحو وعادوا لبلادهم حيث أخذوا ينشرون العلم هناك .

وقد أسسوا عددا كبيرا من المدارس والمراكز لتعليم القرآن والفقه خاصة في المنطقة الممتدة من دنقله شمالا الى أريجي في الجنوب . ومن أهم هذه المراكز مدينة دنقله ، والدامر مركز الجعليين وكعبتهم الثقافية ، وكورتى ، وبربر . وقد كان سكان الحلة التى بها المسجد أو الخلوة يستضيفون الطلبة الغرباء فى بيوتهم ليقيموا فيها طاعمين كاسين ويبقوا معهم كما يشاءون .

وقد لاحظ بوركهاوت ذلك وأشار اليه (٩) .

ونشير الى أن هذه الأقاليم تأصلت فيها التقاليد العربية وثبتت تعاليم الاسلام بفضل هؤلاء العلماء - لكن لابد أن بعض التقاليد السابقة ظلت سائدة لفترة من الزمن . ويرجع الفضل الى هؤلاء العرب الذين استقر بهم المقام فى السودان فى تكوين وتأسيس السلطنات والمشيخات العربية السودانية التى ازدهرت فى السودان قبل امتداد التنظيمات التى بدأت فى عهد محمد على .

(٩) حسن أحمد محمود (دكتور) : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا

ج ١ ص ٢٤٠ .

ومن الذين بشروا وعملوا المساجد في هذه الجهات أولاد
عون الله السبعة وعدد من الشيوخ مثل الشيخ البنداري والشيخ
حمد ولد رزوق ، والشيخ ادريس الأرباب ، والشيخ ابراهيم بن
عبودي الفرضي وقد سمى كذلك لطول بابه في علم الفرائض ،
كذلك الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم بن أبي ملاح الكنانى ،
وهناك كثيرون غيرهم . ولقد أصبح أولئك الرواد الذين درسوا في
الأزهر نواة المجتمع السوداني ودعامته فأقبل عليهم الطلبة من
كل فج يتلقون العلم عليهم ، وتوالت - كما رأينا - بيوت دينية
بعينها تؤسس المدارس وتحرس على ايواء الطلاب ونشر العلم
في البلاد فاشتهرت مدارس الشايقية في دنقلا ، والنباش في بربر ،
والمجاذيب في الدامر ، وقوز العلم في شندي وتوتى ، والعليفون
وكتراينج وأبي حراز (١٠) .

علي أن العلماء السودانيين الذين تخرجوا في الأزهر لم
يكونوا هم وحدهم حملة رسالة الأزهر في السودان في ذلك
العهد - فقد وفد على السودان نفر من علماء الأزهر المصريين
الذين أسهموا أيضا في نشر العلم في ربوع السودان . نذكر
من هؤلاء الشيخ محمد المصري القناوى وهو في الأصل من
ادفو ، وقد وفد على السودان وتلمذ على يديه عدد غير قليل
من السودانيين .

(١٠) محمد سليمان : دور الأزهر في السودان ، ص ٣٠ وما بعدها .

كذلك الشيخ محمد بن على بن قرم الكيماني ، وقد جاء من مصر الى بربر واستقر بها وتلمذ عليه كثيرون .
وأشير الى أن بعض العلماء السودانيين عنوا بتأليف الكتب الدينية واللغوية ، وكانت لبعض علماء السودان خزانات كتب كانوا يحرصون على تزويدها بالمصادر والمراجع الهامة التي كان أغلبها يرد من مصر - وقد ترك أحد فقهاء السودان بعد وفاته دراسة عن سير مائتين وسبعين من علماء السودان (١١) .

وعرف عن ملوك سنار وسلاطينها أنهم يعظمون العلماء ويجلونهم وينزلونهم مكانة كبرى في نفوسهم - وأنهم كانوا يرسلون الى مصر الوفود محملة بالمال والذهب لشراء الكتب النادرة ، وكان بعضهم يرسل علماء الأزهر ويرسل لهم الهدايا ويطلب منهم المشورة والرأي في بعض ما يعنى لهم (١٢) .

وقد تبوأ عدد من خريجي الأزهر السودانيين المناصب القضائية في السودان فكان لهم الفضل في الفصل بين الناس في الخصومات التي تنشأ بينهم حسب رأي الدين والشرع ، وحين كان القضاة السودانيون يختلفون في الرأي فيما يتعلق بقضية ما كثيرا ما كانوا يحتكمون الى علماء مصر (١٣) .

(١١) ان يريد تفصيلا من هذه المؤلفات يرجع الى :

يوسف فضل : دراسات في تاريخ السودان ، ج ١ ، ص ١١١ - ١١٨ .

(١٢) أحمد بن الحاج كاتب الشونة (تحقيق الشاطر بوصيلي) .

(١٣) ود ضيف الله : الطبقات ، ص ١١٤ .

وعندما تأسست سلطنة دارفور في اقليمى دارفور وكردفان في القرن السابع عشر حرص سلاطينها على دعوة علماء الأزهر للحضور للسودان والاقامة به ، كما شجعوا مواطنيهم على السفر الى مصر طلبا للعلم في الأزهر حيث أقاموا في رواق دارفور ، حيث زخر هذا الرواق بعدد الوافدين اليه من سلطنة دارفور ، وقد ساهم المتعلمون في الأزهر من الدارفورين في الوعظ والارشاد والتعليم في المساجد ومكاتب العلم التي ألحقت بها ، والتي انتشرت في أنحاء السلطنة والتي اشتهرت منها خلاوى طره ، وشويا ، والطينة ، كما اشتهرت جوامع الفاشر ، وكوبى ، وجديد السبل (١٤) .

وقد أجزل سلاطين دارفور العطاء للعلماء وأقطعوهم الأرض يعيشون عليها ويصرفون ريعهاهم وتلاميذهم .

وقد تبارى سلاطين دارفور وسلاطين سنار في تشجيع علماء الأزهر سواء المصريين أم السودانين للحضور والاقامة وتوجيه الناس وارشادهم وتعليمهم . ومن أشهر سلاطين دارفور في هذا المجال السلطان عبد الرحمن الرشيد الذى حكم من عام ١٢٠١ هـ الى عام ١٢١٥ هـ (١٧٨٧ - ١٨٠١ م) ،

(١٤) محمد مليمان : مرجع سابق ، ص ٤٤ .

وقد حرص هؤلاء الحكام على أن يعهدوا بتربية أبنائهم لعلساء
أزهريين .

ولما امتدت الإدارة المصرية الى السودان فى عهد
محمد على حرص هو وخلفاؤه على نشر التعليم الدينى بين
أفراد الشعب السودانى فاختير عدد من أبناء الجهات التى
امتد اليها النفوذ المصرى وأرسلوا الى الأزهر الشريف وإلى
المدارس المصرية لتلقى العلم ، ثم بعد ذلك بدأت محاولة فتح
المدارس فى الخرطوم وغيرها من مدن السودان ، وقد أسهم
خريجو الأزهر بنصيب وافر فى التعليم فى هذه المدارس (١٥) .

وقد أصبح بالأزهر ثلاثة أروقة للسودانيين رواق سنار ،
ورواق دارفور ، ورواق البرابرة الخاص بالطلاب النوبيين .
وقد تغير اسمه الى رواق شمال السودان بناء على رغبة أبداها
السيد عبد الرحمن المهدي للشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر
عند زيارته له فى الأزهر .

وقد برزت فترة حكمدارية جعفر مظهر باشا
(١٨٦٦ - ١٨٧١) بسبب اهتمامه بتعليم وثقيف السودانين
فأرسل بعض الطلاب السودانين لمصر للاقتساب للأزهر لفترة

(١٥) عبد العزيز عبد المجيد (دكتور) : التربية فى السودان والأسس
النفسية التى قامت عليها ، ج ٢ ، ص ١٦ وما بعدها .
وحسن أحمد محمود (دكتور) : مرجع سابق .

ثلاث سنوات يعودون بعدها للسودان ، وقيل انه عند مغادرته
للسودان متوجها لمصر اصطحب معه بعض الطلبة السودانيين من
كسلا ليواصلوا تعليمهم في الأزهر وأنه قام بتقديمهم بنفسه
للشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر واوصاه بهم خيرا (١١) .
وحين امتد نفوذ الادارة المصرية في عهد الخديو اسماعيل الى
جهات جديدة في شرق السودان وغربه والى مديرية خط
الاستواء - اتبع نفس الاسلوب مع أبناء هذه البلاد فاختر
منهم عدد أرسلوا لمصر للالتحاق بالأزهر (١٢) .

على أننا نشير الى أن امتداد الادارة المصرية لمديرية خط
الاستواء فتح المجال أكثر امام الهجرات العربية الى الجنوب
وساعد هذا بدوره على انتشار اللغة العربية والثقافة العربية بين
أبناء الجنوب - وان كان يؤخذ على الادارة المصرية أنها لم تركز
على هذه الناحية بالذات - أقصد بها - الاهتمام بتكثيف
الجهود لنشر الثقافة العربية على نطاق أوسع في جنوب السودان،
وقد ظهرت نتائج هذا الوضع أكثر في عهد الادارة الثنائية
حين وضعت الادارة الانجليزية سياسة يقصد بها فصل جنوب
السودان عن شماله وتعويق الجهود المبذولة لنشر الحضارة
والثقافة العربية والدين الاسلامي في الجنوب .

(١٦) عبد العزيز عبد المجيد : مرجع سابق ، ج ٢ ص ٦١ .

(١٧) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

ونشير الى أن الادارة المصرية لما امتدت الى جنوب السودان كلفت عدة بعثات بمد نفوذ مصر لمنطقة البحيرات الاستوائية ، وقد ترتب على ذلك ان طلب أمتيسة ملك أوغندة ارسال من يرشده الى تعاليم الاسلام ، وقد بادرت مصر الى ارسال اثنين من علماء الأزهر - وقد جاء في رد الحكومة المصرية على هذا الطلب من الملك الأوغندي :

« انه بما أن هذه البلاد بعيدة ومتسعة ، ونشر الدين القويم فيها مبتدىء فقد تعين اثنان من الفقهاء من ذوى العقل والمعرفة والارادة فى تألف قلوب الأهالى وتعليمهم بغاية اللطف قواعد الديانة وتفهمهم محسناتها » (١٨) •

وقد ترتب على امتداد الادارة المصرية لمنطقة البحيرات الاستوائية أن انتشرت الحضارة والثقافة العربية والدين الاسلامى بهذه الجهات ، وقد أشار عدد من الكتاب والرحالة الأجانب الى ذلك ، فقد أشار الدكتور يونكر فى كتابه رحلة افريقيا الى فضل الادارة المصرية فى نشر الحضارة فى هذه الجهات فقال :

« يرجع الفضل الى المسلمين - وهم الذين توجه اليهم

(١٨) دفتر ١٨ هابدين - صادر تليفونات عربى شفرة ص ٣ ، فى

(٢١ ربيع الأول ١٢٦١) •

المطاعن والمثالب في الزام الزوج بضرورة المعيشة في هدوء
وسلام مع القبائل المجاورة لهم والاقامة على قدر الامكان في
دورهم ومصرفهم الى زراعه حقولهم ، وهذا العبل ينبغي ان تقدره
حق قدره بدون ان نبخسه شيئا . وما يشرف الحكومة المصرية
وضع المناطق التي يسكنها الزوج تحت سيطرتها . وهذا الامر
مكنها من ان تفتح بابا لانتشار المدنية فيها في مستقبل الأيام .

وقد شهد نفس هذه الشهادة المبشر فليكن في كتابه
، أوغنده والسودان المصري (١٦) .

فلاشك في أن مصر مهدت الطريق لانتشار المدنية
والحضارة في هذه الجهات وداست الأشواك ، وكان دور رجال
الأزهر ومبعوثيه في هذا المجال دورا بطوليا .

وفل دور الأزهر بارزا في الحياة المدنية والثقافية في
السودان حتى بعد أن قامت الثورة المهدية . فرغم أنه لم يكن
بين مصر والسودان اتصال رسمي طوال الثلاثة عشر عاما من
حكم المهدية فقد انضم الى الثورة المهدية فقهاء وعلماء
سودانيون من متخرجي الأزهر وشغلوا مناصب هامة خاصة

(١٦) Felkin : Uganda and The Egyptian Sudan V.I. P. 324

ملاحظة : لويد من التفاصيل عن حياة متخرجي الأزهر السودانيون في
مهد المهدية يرجع الى :

محمد سليمان : مرجع سابق ص ٨٢ وما بعدها .

في القضاء الشرعي ، تذكر منهم القاضي أحمد جبارة وهو من
متخرجي الأزهر ، والشيخ الحسين إبراهيم الزهراء ، والشيخ
محمد البدوي ، والشيخ الصوفي عبد الرحمن ، والشيخ محمد
عمر البنا ، والشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفاني .

وقد برز دور الامام محمد عبده في أثناء السيطرة البريطانية
على شئون السودان في ظل الحكم الثنائي خاصة بعد أن أصبح
الامام مفتيا لمصر فاختار لمناصب القضاء الشرعي والمناصب
الدينية عددا ممن تتلمذوا على يديه وعلى يد أستاذه جمال الدين
الأفغاني ، ومن شغلوا منصب القضاء في السودان في هذه
الفترة الشيخ محمد شاكر (٢٠) ، والشيخ مصطفى المراغي (٢١) .
وقد لفت الدور الذي يقوم به علماء الأزهر في التدريس وفي
شئون القضاء في السودان نظر بعض الاستعماريين البريطانيين
خاصة بعد أن عهد لهؤلاء الأزهريين بتدريس الشريعة والقرآن
الكريم والأدب في كلية غوردون ذاتها فبرزت مكاتبتهم بين
السودانيين من طلاب هذه الكلية التي قصدت بريطانيا من
انشائها تخليد ذكرى غوردون وفي نفس الوقت تسهم في تخريج
جيل من السودانيين يدين بالولاء لبريطانيا (٢٢) .

(٢٠) شغل الشيخ محمد شاكر منصب وكيل الأزهر بعد عودته لمصر ،
وكان له دور بارز في تطوير الدراسة به .

(٢١) كان للشيخ مصطفى المراغي دور كبير في تطوير المعهد العلمي في
أم درمان .

(٢٢) محمد عمر بشر : تطور التعليم في السودان من ١٩٠٠ .

وقد زار الامام محمد عبده السودان قبل وفاته بقليل
بدعوه من تلاميذه ومريديه من العلماء وقد فوّل الامام في
السودان بحفاوه بالغه النظير - ما جعل الادارة البريطانية
تنظر بعين القلق والفرع من نشاط الازهرين في السودان
ويأيرهم على الجماهير .

وقد اتجهت انجلترا الى اضعاف الصلات الدينية والتفافية
بين مصر والسودان بان توجد في السودان هيئات تغنى عن هيئته
ذبار العلماء في مصر وعن الأزهر .

وللوصول لهذا الهدف عين الجنرال ونجت الحام العام
البريطاني في ١٣ يونيه عام ١٩٠١ لجنة أطلق عليها اسم (لجنة
العلماء السودانيين) تكون بمثابة لجنة استشارية في الشؤون
الدينية (٢٣) .

وكان عمل لجنة العلماء السودانيين أن ترسل بعوتا سودانية
الى الأزهر ليتزود أفرادها بالعلم والمعرفة وليعودوا الى بلادهم
لتولى مهنة التدريس فيها . غير أن ونجت كان يرى أن ذهاب
السودانيين الى الأزهر وتلقيهم الدراسة هناك قد يجعلهم

(٢٣) شكلت اللجنة لأول مرة من الشيخ محمد البدوي رئيسا ، والشيخ
الندير خالد ، والشيخ محمد عبد الماجد ، والشيخ ابراهيم تريف الدولابي ،
والشيخ محمد الامين الضير ، والشيخ الباقر اسماعيل اعضاء .

(أمر صدر من سزدار وحاكم السودان العام السير ونجت في
١٣ يونيه ١٩٠١ م - ٢٦ صفر ١٣١٩ هـ) .

يشربون اراء وافكارا معادية للإدارة البريطانية في السودان .
لما انه كان يرى ان مجيء علماء مصريين من الأزهر للتدريس
في السودان اثار خطرا ، ولذا رأى ان ينشئ في جامع أم درمان
الكبير ما أطلق عليه اسم (المعهد العلمي) لتخريج طلبة من
المعلمين والمتفهمين لسد الفراغ . ووضع للمعهد لائحة للدراسة
اقتبست من لائحة الأزهر الشريف ومناهج التدريس فيه ، وقد
تم انشاء المعهد في عام ١٩١٢ وتخرجت فيه أفواج من العلماء
ونظورت الدراسة به خاصة بعد ان طالب مؤتمر الخريجين
العام في السودان بعد تأسيسه بذلك ، بل انه طالب بضرورة
الاتصال بين معهد أم درمان والأزهر الشريف ، واضطرت الإدارة
البريطانية أمام ضغط الرأي العام السوداني الى أن تستجيب
لهذه الرغبة فسمحت في عام ١٩٤٧ لبعثة من الأزهر للحضور
للسودان والتدريس في معهد أم درمان ، وانتدبت أحد مشايخه
الأزهريين لإدارة المعهد . هذا وقد ساهم الأزهر كما ساهم
عدد كبير من العلماء المصريين في انشاء مكتبة علمية ضخمة
للمعهد .

هذا وقد تطور القسم العالي بمعهد أم درمان فتحول
الى كليات متخصصة في شتى فروع الثقافة الاسلامية . وفي
عام ١٩٥٧ انشئ قسمان بالمعهد أحدهما للشريعة الاسلامية
والآخر للغة العربية ، وقد طورت الدراسة بمعهد أم درمان
وأصبح جامعة اسلامية وسدر القانون الأساسي للجامعة في

عام ١٩٧٠ وأصبحت جامعة أم درمان تضارع كبرى الجامعات
الاسلامية الأخرى .

ولم تقتصر رسالة المعهد على السودان فقد أصبح يتردد
عليه عدد من طلاب العلم والثقافة من البلاد الافريقية الأخرى
كالصومال واثيوبيا وارتريا وأوغندا بل ومن السنغال وغيره من
أقطار غرب افريقيا (٢٤) .

ثانيا - دور الأزهر في شرق أفريقيا :

علاقة العرب بشرق افريقيا - كما رأينا سابقا - قديمة
والتأثيرات العربية في شرق القارة قوية وواضحة ، ونستطيع أن
نحسها في مختلف مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية
والثقافية - لكن الاسلام أعطى العرب دفعة جديدة وأهدافا
وأسبابا للاندفاع لشرق القارة والتعامل مع سكان هذه المناطق
والاندماج فيهم ، وكان طبيعيا أن يلعب الأزهر الشريف دورا
هاما ورئيسيا في هذا المجال خاصة بعد أن أصبح له دور ديني
وثقافي واضح في كل المجتمعات الاسلامية التي احتك بها
المسلمون ، ولعل محاولة تلمس هذا الدور في كل من اثيوبيا
وارتريا والصومال يعطى صورة عن ذلك .

ففيما يتعلق باثيوبيا وارتريا فقد كانت - كما ذكرنا

Triningham, S. : Islam in Ethiopia P. 60.

سابقا - أول منطقة هاجر اليها المسلمون وكان لهؤلاء المهاجرين أثرهم على الاثيوبيين ، ولاشك في أن هذه الهجرات الأولى لاثيوبيا زادت من الصلات بين المسلمين من عرب شبه الجزيرة وبين الاثيوبيين ، وقد ترتب على هذه الصلات أن دخلت قبائل برمتها مثل قبائل الجالا في الاسلام (٢٥) .

ولاشك في أن مصر لعبت دورا هاما في نشر الاسلام في الحبشة كما لعبت من قبل دورا في نشر المسيحية فيها ، ومن تتبع كتب التاريخ والرحلات نعلم أن بعض العلماء المصريين من رجال الأزهر - كانوا يترددون على اثيوبيا وارتريا لتعليم أبنائها ، كما كان بعض الارترين والاثيوبيين يفتدون لمصر لنفس الغرض (٢٦) .

وتوجد باثيوبيا بعض المعاهد الأهلية الاسلامية في أسمره ومصوع ، وكرن ، وأغودات ، وهرر .

وتشرف الجمعيات الخيرية الاسلامية على هذه المعاهد وتزودها بحاجاتها من الكتب والأدوات المدرسية ، ومناهجها قريبة من مناهج المعاهد الأزهرية المصرية بحكم أن واضعي هذه المناهج ممن تخرجوا في الأزهر الشريف (٢٧) .

(٢٥) ارنولد ، توماس : الدعوة الى الاسلام (ترجمة د. حسن ابراهيم حسن) (١٩٤٧) ص ١٠٤ .

(٢٦) يوسف أحمد : الاسلام في الحبشة (١٩٣٥) ص ٦٩ .

(٢٧) الأزهر في ١٢ عاما - مرجع سابق ص ٢١ .

ومن أهم المعاهد المرتبطة بالأزهر معهد أسيرة الديننى الذى أنشئ فى عام ١٩٤٢ ، وتمد مصر طلاب المعهد بالكتب الدراسية كما تتحمل مرتبات مدرسى العلوم الشرعية والعربية به ، ويقوم بالتدريس فيه وطنيون من متخرجى الأزهر •

وبالأزهر رواق خاص بالوافدين من اثيوبيا والمناطق المجاورة (رواق الجبرت) ، ويحدثنا المؤرخ المشهور عبد الرحمن الجبرتى عن هذا الرواق والوافدين اليه (٢٨) •

ويقدم الأزهر بعض المنح للطلاب الاثيوبيين والارتريين للدراسة بمعهد البحوث الاسلامية وبجامعة الأزهر •

ثالثا - دور الأزهر فى الصومال :

هو دور بارز ، فقد انتشر الاسلام على نطاق واسع خاصة فى المدن الساحلية بالصومال ، ووجدت بهذه المدن عدة مدارس ومراكز اسلامية ، فعادة حيث توجد جماعات اسلامية يوجد من يقوم بشئون أطفالها فيعلمهم القرآن كما يؤم الناس فى الصلاة ويعرف الناس بشعائر الاسلام (٢٩) •

وفى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر سيطرت

(٢٨) الجبرتى ، عبد الرحمن : عجائب الانسار فى التراجم والأخبار

ج ١ (١١٨٨ هـ) ص ٢٨٥ .
Trimingham, S. • Islam in Ethiopia P. 142.

(٢٩)

مصر على شواطئ الصومال الشمالى والشرقى ، وفى عام ١٨٧٥ ضمت هرر الى أملاكها وأتاح ذلك فرصة لتدعيم الاسلام بل ونشره بين القبائل الوثنية ، وتردد المراجع أسماء عدد من رجال الأزهر وخرجيه الذين جاءوا الى هذه البلاد فى ظل ما هيأته الادارة المصرية من أمن وأمان وكان دورهم واضحا وأثرهم بارزا فى حياة السكان وسلوكهم .

وفى عام ١٨٨٤ أجبرت بريطانيا مصر عقب الثورة العرابية على اخلاء هذه الجهات فضمت الصومال الشمالى البها (فيما عرف بالصومال البريطانى) ، وقد قاومت قبائل الصومال الاحتلال البريطانى بشمال الصومال كما قاومت الاحتلال الايطالى لجنوبه ، واضطرت الدولتان الاستعماريتان لتوجيه الحملات لقمع هذه الحركات الوطنية ونجحت فى ذلك بعد جهد ، وان كان تفوذا لم يتعد فى كثير من الأحيان المناطق الساحلية ، ولا شك فى أن المستعمرين سواء الانجليز أم الايطاليين كانوا يخشون بالذات من ارتباط الحركة الوطنية القومية بالحركة الاسلامية الدينية ، فقد اتخذت الحركة الوطنية صورة الجهاد ضد المستعمر الأوربى المناهض للدين الاسلامى .

وقد ضعفت الصلات بين الأزهر والصومال أثناء الاحتلال الايطالى ، فقد كان الايطاليون يخشون من أثر هذه الصلات فى اذكاء الروح القومية بين الوطنيين ، وكان الايطاليون يشجعون

تعلم الوطنيين اللغة الإيطالية - لكن تمكن بعض الصوماليين من افتتاح مدرسة يتعلم فيها الصوماليون اللغة العربية والدين ، وكان يشرف عليها أحد الصوماليين من درسوا بالأزهر (٣٠) . وفي الفترة التي أعقبت الحرب العظمى الثانية طلب الصوماليون من مصر المساعدة في انشاء مركز ثقافي عربي ومسجد وعيادة طبية ومدرستين ثانويتين احدهما للبنين والأخرى للبنات . وقد وافقت الإدارة الإيطالية في عام ١٩٥٢ على ذلك ، كما منحت مصر عددا غير قليل من طلبة الصومال منحا للدراسة في الجامعة الأزهرية والجامعات المصرية . وقد نجحت بعض الجماعات الوطنية في الصومال في انشاء مدارس أهلية في مقديشيو وغيرها من المدن الهامة بالصومال تهتم بنشر اللغة العربية ويدرس بها صوماليون من تعلموا في المدارس المصرية وفي الأزهر الشريف .

وبعد حصول الصومال على استقلاله في عام ١٩٦٠ بدأ تنفيذ سياسة تعليمية وطنية كما بدأ منذ عام ١٩٦٩ في انشاء

(٣٠) قى الصومال الإيطالي بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية تحت الإدارة البريطانية حتى عام ١٩٤٩ وقررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الرابعة في عام ١٩٤٩ ان يصح الصومال دولة مستقلة ذات سيادة على أن يتم تنفيذ الاستقلال في نهاية عشر سنوات يوضع الصومال خلالها تحت الوصاية الدولية ، وعهد بها لإيطاليا يساعدها مجلس استشاري من ممثلي كولومبيا ومصر والفلبين وأخيرا وافقت هيئة الأمم المتحدة في نوفمبر عام ١٩٦٠ على استقلال الصومالين البريطانيين والإيطالي واتحادهما باسم جمهورية صوماليا .

جامعة مقديشيو واستعان في ذلك بالدول الصديقة وفي مقدمتها
مصر .

وقد توافد الطلاب الصوماليون على مصر للدراسة
بالأزهر ، وكان لهم رواق خاص (رواق زيلع) ، وقد نجحت
البعثة التعليمية الأزهرية للصومال في افتتاح معهد الدراسات
الإسلامية بمقديشيو في عام ١٩٥٣ . وفي عام ١٩٥٦ تم افتتاح
معهد ديني في مقديشيو عام ١٩٥٩ التحق به عدد كبير من الشبان
الصوماليين كما افتتح معهد آخر في مدينة (برعو) في عام ١٩٦٠ ،
وتوالى بعد ذلك تأسيس المعاهد الدينية ، وقد شجعت الحكومة
الوطنية في الصومال بعد الاستقلال التوسع في افتتاح المعاهد
والمدارس الدينية والمدارس العامة ، كما شجعت الاهتمام
بالثقافة العربية والإسلامية التي يقوم بنشرها نخبة ممتازة من
علماء الأزهر الشريف (٣١) .

ويهتم الأزهر بتزويد المعاهد الدينية في الصومال - (معهد
مقديشيو) ، معهد برعو ، ومعهد بربرة ، ومعهد هرجيسيا ،
والمدارس الدينية والمدارس العامة ، ومعهد قسمايو ، ومعهد
بيدوا ، ومعهد بلدوين ، ومعهد جلكعيو) - بحاجتها من الكتب
والأدوات .

(٣١) حمدى السد . سالم : الصومال قديما وحديثا ج ٢ (مقديشيو

١٩٦٢) ص ٤٩٠ .

هذا بالإضافة الى المعاهد الدينية التي انتشرت في قرى الصومال وفي المناطق الريفية ، كذلك المدارس القرآنية • وترتب البعثة الأزهرية بالصومال أمر القائمين بالتدريس في هذه المدارس التي تشبه (الكتاتيب) في مصر •

والحقيقة أن نشاط البعثة الأزهرية في الصومال بعد الاستقلال شمل عدة مجالات بالإضافة الى مجال التعليم في المعاهد والمدارس المختلفة فقد اهتم أعضاء البعثة بالقاء المحاضرات الأدبية والدينية في "مركز الثقافي الاسلامي والأندية العلمية والمساجد ، كما اهتموا بالمشاركة في مختلف المناسبات الدينية والوطنية ، كما أصدر أعضاء البعثة مجلة شهرية حافلة بالمقالات والتحليلات القيمة ، كما كان رجال البعثة المرجع في شرح الغامض في المواقف المختلفة •

هكذا لعب الأزهر ورجاله دورا فعالا وقويا ومؤثرا في نشر الاسلام والثقافة العربية في شرق افريقيا ، ومن شرق القارة تغلغت هذه الآثار الى الداخل وظهرت آثارها في وسط القارة •

ولاشك في أن الأمل معقود على أن تتزايد هذه الآثار وتتضاعف أكثر بعد أن تدعمت الدراسة بالأزهر وازدادت العناية بالدور الذي يقوم به في مصر والخارج •

رابعاً - دور الأزهر في شمال أفريقيا :

كان استيلاء المسلمين على مصر في عام ٦٤١ ايذاناً بامتداد سلطانهم غرباً صوب الشمال الافريقي فتوالت سلاطتهم على هذه البلاد حتى دخل الشمال الافريقي كله في كنف الدولة العربية الفاطمية .

وكان ظهور الدولة العبيدية الفاطمية في الباية في الجزائر حوالي سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م حيث استطاع العبيديون تأسيس دولة شيعية انتسبت الى فاطمة الزهراء زوجة علي بن أبي طالب وابنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي عهد المعز لدين الله سير قائده جوهر في جيش استولى على مصر وبنى مدينة القاهرة في ٥ رمضان ٣٦٢ هـ (٩ يونيو ١٠٧٣ م) ، ثم بنى الجامع الأزهر كما وضعنا سابقاً .

على أن الأحداث التي ألت بشمال افريقية بعد ذلك أدت الى قيام دول منفصلة في أقطاره ، فقامت الدولة الحفصية في تونس ، والدولة المرينية في المغرب الأقصى ، والدولة الزبانية في المغرب الأوسط (٣٢) .

على أن مصر ظلت دائماً تهتم بما يجرى من أحداث في

(٣٢) لن يربد التفاصيل عن هذه الأحداث يرجع الى :
شوقي الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ١٩٧٧ .

المغرب ، كما أن عددا من المغاربة كان يلوذ بمصر هربا مما يحيق بهم من أخطار في بلادهم ، فقد أصبحت مصر وطننا ثانيا لكثير من المغاربة حيث طالب لهم المقام في التكايا والخواتق والزوايا .

ومن مظاهر العلاقات بين مصر ودول المغرب أيضا وفود جماعات الحجاج كل سنة الى القاهرة واقامتهم بها مدة قبل التجهز للسفر الى الحجاز ، وقد هيأت فرصة موسم الحج مجالا للتراسل والمهاداة بين ملوك المغرب وسلاطين مصر .

على أن وجود الأزهر - أكبر جامعة اسلامية في العالم العربي - في مصر ، جعل لمصر مكانة خاصة لدى المغاربة - فكان يفد اليه طلاب المغرب لطلب العلم . وقد جاء في كتب التراجم مثل (الدرر الكامنة) و (الضوء اللامع) خبر كثيرين ممن رحلوا الى مصر من المغرب لتلقى العلم في الأزهر أو الاستزادة من علمائه ، وقد فضل بعضهم العودة الى بلاده بعد أن يأخذ قسطا من التعليم فيعلو ذكره هناك بينما آثر البعض الآخر الإقامة بمصر (٣٣) .

وممن وفد الى مصر من علماء المغرب عبد الرحمن بن خلدون جاء الى مصر لائذا بها مما لقيه في معترك الاضطراب السياسي في شمال افريقية ، ووصل الاسكندرية في عيد الفطر عام ٧٨٤هـ /

(٣٣) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤١١ - ٤١٢ .

١٣٨٢ م . ثم انتقل الى القاهرة وقام بالتدريس بالجامع الأزهر واعترف بما لعلماء مصر من الباع الطويل في العاوم . وفي مصر عكف ابن خلدون على تصحيح كتابه العبر ومقدمته وقد مات ابن خلدون في مصر في عام ٨٠٨ هـ .

وقد شجع الانقسام والتعصب - الدول الاوربيه الطامعة في بلاد المغرب على تحقيق أطماعها في دول المغرب . وقد افتتحت البرتغال وأسبانيا صفحة الاستعمار الأوربي للبلاد العربية في شمال افريقية بهجومها على بلاد المغرب الافريقي ، ونجح الأتراك العثمانيون بعد أن بسطوا نفوذهم على مصر في أوائل القرن السادس عشر في أن ييسطوا نفوذهم على الجزائر وتونس وليبيا وحالوا فترة من الزمن دون وصول الاطماع الأوربية الى هذه البلاد - لكن ما أصاب الدولة العثمانية من ضعف فيما بعد ، وما أصاب العالم العربي من ركود - سهل على الدول الاستعمارية الأوربية تحقيق أطماعها في هذه البلاد ، فاستولت فرنسا على الجزائر في عام ١٨٣٠ وعلى تونس في عام ١٨٨١ كما استولت على المغرب في عام ١٩١١ واقتسمت الأمر فيه مع أسبانيا التي كان من نصيبها منطقة الريف ، بينما استطاعت ايطاليا في عام ١٩١١ أن تمد نفوذها الى ليبيا ، وكانت بريطانيا قد فرضت حمايتها على مصر منذ عام ١٨٨٢ .

وقد حاولت فرنسا في البلاد التي خضعت لها بشمال

افريقيا أن تفضي على الثقافة العربية فئات سياسة الاستيعاب
أو الفرنسية هي طابع الاستعمار الفرنسي ، ولذا عمدت فرنسا
للحد من نشاط جامع الزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب ، كما
لم تنظر بعين الارتياح لجهود الأزهر ورجاله في نشر الثقافة
العربية والدينية بين طلاب شمال افريقيا الخاضعة لسيطرتها .
ورغم ذلك فقد نجح بعض العلماء الجزائريين في عام ١٩٣١ في
تأسيس جمعية رسمية كان يرأسها عبد الحميد بن باديس أحد
خريجي جامع الزيتونة لخدمة الأغراض الدينية .

على أن السياسة التي انبعتها فرنسا في تشجيع تعلم اللغة
الفرنسية والآداب الفرنسية والتاريخ الفرنسي وفتح المعاهد
والمدارس لهذا الغرض واتاحة فرص العمل أمام من يتقنون
الفرنسية ومن يتطبع بطبائعهم وعاداتهم - واعتبار الفرنسية
اللغة الرسمية ولغة المعاملات - أدى كل هذا لخلق جيل يجهل
الكثير عن لغة وأداب بلده وحضارته بل وتعاليم دينه ، فقد
كانت مناهج المدارس تسير على النظام الفرنسي بينما كان
المسلمون الذين يصرون على أن يتعلم أولادهم في المراحل
الأولى القرآن واللغة العربية والتاريخ العربي لا يجدون في
المدارس التي تدعمها الدولة المستعمرة أو في المدارس التي تسير

على النظام الفرنسى ما يشجع على ارسال اولادهم للتعليم .
ولذا فشت الامة بين المواطنين فى هذه البلاد (٣٤) .

واذا اضفنا الى ذلك ان المدارس الثانوية التكميلية التى
انشئت كان التعليم فيها باللغة الفرنسية . وكانت هناك حدود
للسن تفيد دخول الوطنيين - ادرنا ان هذه المدارس انشئت
اصلا لخدمة أبناء المستوطنين الفرنسيين - ولذا كانت نسبة
الأطفال الذين يرتادون المدارس من هم فى سن التعليم فى هذه
البلاد التى خضعت للاستعمار الفرنسى لا تتعدى ١٠٪ (٣٥) .
ولذلك كانت المشكلة العامة التى واجهت هذه الأقطار
الثلاثة (الجزائر ، وتونس ، والمغرب) بعد الاستقلال هى
محاولة تعريب التعليم ، والعمل لاستعادة هذه البلاد لوجهها
العربى ، وتقويم الأوضاع السيئة المترسبة من عصر الاستعمار .
وفى هذا المجال برز دور الأزهر ورجاله وبعثاته . والاحصاءات
عن أعداد الطلاب الوافدين الى الأزهر من بلاد شمال افريقيا
وعن البعثات الأزهرية الى هذه البلاد ناطقة بهذه الجهود
المشكورة (٣٦) .

(٣٤) Thompson, Nirginia & Adol, Richard : French West
Africa (London 1958). P.30

(٣٥) كلود ، هنرى ، برنان أندريه ، لوكرست اينى : الاستعمار الفرنسى
فى المغرب العربى (د ت) ص ٢ .

(٣٦) جامعة الأزهر ادارة التخطيط والاحصاء - كذلك احصاءات ادارة
البعوث - مجمع البعث الاسلاميه .

ولا يختلف الوضع فيما يتعلق بليبيا عن الوضع في المستعمرات الفرنسية فقد أصدر مجلس الفاشست الأعلى قانون الجنسية بهدف تشجيع التجنس بالجنسية الإيطالية واتقان اللغة الإيطالية • وحرم الإيطاليون على العرب تأسيس النوادي الأدبية أو العلمية أو الاجتماعية كما منعت الصحف المصرية من الوصول إلى ليبيا ، وغيرت أسماء الشوارع والميادين كلها وأطلقت عليها أسماء ليبية ، ولم يبق من المدارس العربية إلا القليل • وفي الوقت الذي كانت تعاني فيه هذه المدارس من قلة الأجهزة العلمية الضرورية - كانت المدارس الإيطالية مجهزة بالأجهزة والوسائل التعليمية الحديثة ، وتفشت الأمية بين السكان الليبيين وأصبحوا يجهلون كل ما يمت لحضارتهم وتاريخهم بصلة ، وحالت إيطاليا دون سفر الليبيين لمصر للالتحاق بمدارسها ومعاهدها ، وبالأزهر الشريف ، كما حاولت دون حضور رجال الأزهر إلى ليبيا للقيام بواجبهم نحو اخوانهم الليبيين • وقد ظل الأمر كذلك حتى هزمت قوات المحور وانهى الأمر بتقسيم ليبيا إلى ثلاث إدارات عسكرية إدارة انجليزية في كل من برقة وطرابلس وإدارة فرنسية في فزان - واستمر الوضع كذلك حتى قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٩ أن تكون ليبيا التي تشمل برقة وطرابلس وفزان دولة واحدة مستقلة ذات سيادة على أن يتم ذلك في موعد لا يتجاوز أول يناير ١٩٥٢ •

وكان على الليبيين بعد حصولهم على الاستقلال أن يقوموا
هم أيضا بتعويض ما فاتهم نتيجة سنوات الاستعمار وسياسته ،
وقد برز دور الأزهر أيضا في هذا المجال .

خامسا - دور الأزهر في غرب افريقيا :

منذ أن فتح العرب مصر وامتد نفوذهم لشمال افريقيا
وقامت في شمال افريقية دول اسلامية قوية أخذ الاسلام ينتشر
الى غرب افريقية وما كان يطلق عليه السودان الغربى ، واتتهى
الأمر بتكوين ممالك بل امبراطوريات اسلامية في غرب افريقية
(مملكة غانا ، ومملكة مالى ، ومملكة سنغاي ، ومملكة برنو ،
وكانم) - دول تتجه بوجهها شمالا الى المغرب وشرقا الى مصر
وسودان وادى النيل والجزيرة العربية مهد الاسلام ، فلم
تكن الصحراء الكبرى عامل فصل بل معبرا عبرته التجارة
والحضارة وظلت طريقا رئيسيا تعبره القوافل طوال العصور
الوسطى والحديثة حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .
وكان أداء فريضة الحج وطلب العلم من أبرز ما ربط بين مصر
ودول شمال افريقيا .

وقد كثر الحديث عن حج سلاطين دول غرب افريقيا
ورعاياهم ومرورهم بمصر في طريقهم الى الحجاز ، وكانوا
يستقرون بمصر زمنا ليس قصيرا حتى يتهيأ ركب الحجاج
والمحمل الى مكة . والطريق الذى درج حجاج تلك النواحي

على سلوكه هو الدرب الصحراوي المعروف بطريق غات والذي
يبتدىء من مدينة غات نفسها وينتهي عند الأهرام بالجيزة (٣٧) .
ومن أشهر مشاهد الحج التي ذكرت في التاريخ الذي كان
على رأسه منسا موسى سلطان مالي والذي قدم مصر
سنة ٧٢٤ هـ - ١٣٢٣ م . وقد ذكر العمرى في مسالك
الأبصار الكثير عن أنباء ذلك الركب التكرورى الذى ظل الناس
يتحدثون عن أخباره بعد رحيله بسنين - فأشار الى أن ذلك
الملك امتاز عن سبقه من ملوك التكرورين ممن قدموا الى مصر
بما أحاط به نفسه من مظاهر الترف .

ومما يذكر أن هذا السلطان انتهز فرصة وجوده بمصر
فابتاع جملة من الكتب ليوفر لأهل مملكته طرفا من مناهل
الثقافة الاسلامية .

ويقال أن مدرسة تنبكتو - المدينة التي أنشئت حوالى
عام ١٣٢٥ م - كانت تحاول أن تحتذى بالأزهر فى أساليبها
التعليمية ، كذلك يبدو أن سلاطين هذه البلاد كانوا يغرون
العلماء والفقهاء للحضور لعاصمتهم ، فاحاطوا أنفسهم بعدد من
هؤلاء العلماء والفقهاء . وقد ذكر ابن بطوطة والذي زار سلطان
مالي منسا سليمان (١٣٣٨ - ١٣٦٢) الذى خلف منسا موسى

(٣٧) ابن خلدون : المعبر ج ٥ ص ٤٠ - ٤٣ .
والعمرى : مسالك الامصار ص ١٥٤ - ١٥٥ .

» انه وجد حوله حاشية من ثلاثين عالما وفقهيا من علماء
وفقهاء مصر « (٣٨) •

وقد برزت عدة مراكز حضارية في غرب افريقيا اجتذبت
طلاب العلم من كل أجزاء غرب افريقيا (٣٩) •

كما اشتهرت بعض مساجدها مثل جامع سنكوري الذي
كانت له مكانة تشبه مكانة الجامع الأزهر ، وعمرت مكاتب
هذه المساجد بالكتب التي حرص السلاطين على جلبها من مصر
وغيرها من البلاد الاسلامية •

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر استطاعت القوى
الاستعمارية في غرب افريقيا أن تتوغل في مراكزها الساحلية ،
وتسيطر على الدول الاسلامية الداخلية في غرب القارة وتوجهها
نحو الموانئ المحيطة ، وظل الأمر كذلك حتى استطاعت دول
غرب افريقية أن تستقل وتعيد علاقاتها وروابطها الحضارية مع
المغرب ومصر (٤٠) •

(٣٨) ابن بطوطة : ج ٤ ص ٣٩٧ •

(٣٩) Hogben : Mahammdan Emirates of Nigeria P. 51.

(٤٠) عبد العزيز كامل (دكتور) : جغرافية الاسلام في افريقيا (د.ت)

ص ٧٧ •

ملاحظة : سنعرض للحديث عن اثر الأزهر في قيام الحركات الإصلاحية
في غرب افريقيا فيما بعد •

.. واذا كانت الروابط الحضارية بين مصر وغرب افريقيا قد
ضعفت في عهد الاستعمار - لكن لم تلبث هذه البلاد بعد
حصولها على استقلالها أن عاودت علاقاتها بمصر ، وعقدت
المعاهدات الثقافية والاقتصادية بين مصر ودول غرب افريقيا
المستقلة ، وتعددت المؤتمرات وكثرت زيارات رجال الأزهر
لهذه البلاد كما تعددت وفود هذه البلاد لمصر للالتحاق بالأزهر
وتلقى العلم في جامعته ومعاهده .

وقد وقعت بين مصر والدول الافريقية المستقلة في غرب
افريقيا اتفاقيات للتعاون في المجال الثقافي والاقتصادي كما وقعت
بروتوكولات طويلة الأجل واتفاقيات عسكرية وفنية (٤١) .

هذا ولالأزهر اتصالات بالجمعيات الاسلامية في دول غرب
افريقيا كالاتحاد الثقافي ، والمجلس الأعلى الاسلامي ، واتحاد
مدرسي اللغة العربية بساحل العاج . ويزود الأزهر هذه
الجمعيات بحاجتها من الكتب والمراجع الدينية وغير ذلك
مما تحتاجه لاتمام رسالتها (٤٢) .

(٤١) عن بعض هذه الاتفاقيات (انظر) :

محمد عبد القادر أحمد (دكتور) : المسلمون في غينيا ١٩٨٦
ص ١٢٨ - ١٣٠ .

(٤٢) كوتى عبد الرحمن : الاسلام والمسلمون في ساحل العاج (١٩٨٢)
ص ١٦١ وما بعدها .

ولاشك في أن الأمل معقود على مضاعفة هذه الصلات بين مصر وهذه البلاد الإفريقية في المستقبل .

ونشير ونحن بصدد الحديث عن دور الأزهر في غرب إفريقيا إلى أن من مجالات نشاط رجال الأزهر في هذه البلاد دورهم في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في البلاد الإسلامية غير الناطقة بالعربية ، ونشير بالذات إلى هذا الدور داخل نطاق (الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية) ، وللإتحاد مراكز تربوية أحداها في القاهرة ، كما أن الأزهر يسهم بدور فعال في تدعيم مدارس ومراكز التعليم الديني الإسلامية في غرب إفريقيا وتزويدها بحاجتها من المدرسين والكتب والأدوات .

الطرق الصوفية والحركات الإصلاحية في افريقيا ودور الأزهر فيها

محتويات الفصل :

- ظهور علماء في الأقطار الافريقية متأثرين بما تعلموه من مبادئ الاسلام وتعاليمه •
- الطرق الصوفية تجد في افريقيا مكانا مناسباً لها (القادرية — التيجانية) •
- الحركة السنوسية كمثال للحركات الدينية التي عملت للعودة بالاسلام لمبادئه الأولى وجاهدت ضد الاستعمار •
- الحركة المهدية واتصالها بالسنوسية والاختلاف بين القائمين بالحركتين •

٢٠ — الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا وهدفها ودورها
أمثلة لهذه الحركات :

(أ) حركة عثمان بن فودي ونشاطه بين قبائل
الفولاني وفي إمارات الهوسا •

(ب) حركة الشيخ أحمد ولوبو في ماسينا •

(ج) حركة الحاج عمر التكروري •

— تأثير رواد هذه الحركات بالأزهر وتعاليمه •

— دورهم في نشر تعاليم الإسلام ومبادئه
والثقافة العربية في غرب القارة وتصديهم
للاستعمار الأوروبي •

رأينا أن مناطق شاسعة من القارة الأفريقية تأثرت بالحضارة الإسلامية العربية في وقت مبكر منذ أن مد العرب نفوذهم إلى شمال القارة وغربها وشرقها ، وساهمت هذه الحضارة العربية الإسلامية مساهمة فعالة في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي في البلاد التي امتدت إليها . ولم يهدف الاسلام الى هدم المجتمعات القديمة بكل مقوماتها بل تطويعها للدين الجديد وما يأمر به وما ينهى عنه .

وبرز في هذه الأقطار الأفريقية علماء وفقهاء تركوا لنا ثروة علمية وفقهية في مختلف مجالات العلوم الإسلامية والانسانية ، ومازال الكثير منها حبيس دور الوثائق ، غير ما تقل من هذه الثروة للمكتبات الأوربية ، وما فقد منها . وهذه الثروة العلمية التي تركها علماء أفارقة تأثروا بالتعاليم الإسلامية وتفقهوا في الدين والعلم وجددوا - جزءا من تراثنا الاسلامي العربي يجدر

بنا أن نبذل جهودا مضاعفة للحفاظ عليها وللبحث عنها في نطاقها
وان نلقى عليها الأضواء .

وقد ارتبط ازدهار الثقافة الاسلامية العربية في افريقيا
وفي غربها بالذات بانتشار الطرق الصوفية - فقد اتاحت الظروف
البيئية في افريقيا فرصة لهذه الطرق لتنتشر وتزدهر ، خاصة
التيجانية والقادرية وما انبثق عنهما من طرق فرعية أخرى . وقد
لعبت هذه الطرق وأتباعها دورا كبيرا في نشر الثقافة الاسلامية
في هذه الجهات وفي مقاومة الاستعمار الأوربي فيما بعد حين
اندفع الى المنطقة طامعا في ثرواتها متسلحا بما أمدته به النهضة
الأوربية من أسلحة مكنته من اختراق المناطق المجهولة (١) .

وقد زاد عدد أتباع الطرق الصوفية ولاسيما بين المشتغلين
بالتجارة من العلماء والفقهاء ، وقد أصبح كل مسلم تقريبا

(١) نشأت القادرية في العراق في القرن الحادى عشر الميلادى وتنسب
الى سيدى عبد القادر الجيلانى ، وقد انتقلت بعد ذلك لمناطق عدة من العالم
الاسلامى . واول من نشر القادرية في بلاد السودان الغربى سيدى أحمد البكاء
والشيخ محمد عبد الكريم المغيلى التلمسانى في القرن الخامس عشر الميلادى ،
ولا تكاد تخلو دولة من دول غرب افريقيا من أتباع الطريقة القادرية .
اما الطريقة التيجانية فتنسب للشيخ أحمد بن محمد التيجانى ، وقد
نشرها في غرب افريقيا الحاج عمر الفوتى وقد انتشرت في السنغال وفي
نيجيريا وغيرها .

انظر أرنولد ، توماس : الدعوة الى الاسلام ترجمة د. حسن ابراهيم حسن
(١٩٥٩) ص ٣٦٥ .

يرى لزاما عليه أن يرتبط بأحدى هذه الطرق الدينية . وأقام
اتباع هذه الطرق الزوايا للعبادة ولايواء الوافدين المحتاجين
للمأوى والطعام وللاعتكاف بعيدا عن زخرف الحياة وملذاتها
للدروس والتفقه في شئون الدين ، وكانت لكل طريقة تنظيماتها
وأعضاؤها وعلى رأسهم شيخ الطريقة ، كذلك لها أورادها
وتقاليدها الخاصة ، هذا وإن كانت جميع تلك الطرق ترمى الى
غاية واحدة وهى الوصول بالنفس الانسانية الى درجة
الكمال - لكن الوسيلة لتحقيق هذه الأهداف اختلفت من
طريقة لأخرى .

وقد انتشرت القادرية بالذات في السودان الغربى خاصة
في القرن الخامس عشر ، وانتشر أتباع هذه الطريقة من الفقهاء
المريدين من السنغال الى مصب النيجر وأقاموا المراكز لبث
دعوتهم في مختلف الجهات ، بل نظموا البعوث الى الأزهر
الشريف والقىروان والمعاهد الدينية الأخرى التى اشتهرت في
العالم الاسلامى ، وانتشرت القادرية في جنى وتمبكتو وغيرها
من العواصم بغرب افريقيا وتفرعت منها نظم جديدة اتخذت
أسماء أخرى تنتسب الى الشيوخ الذين اعتنقوها وعملوا على
نشرها .

أما التيجانية فقد ازدهرت أيضا في غرب افريقيا بالذات
وانتشر اتباعها في حوض السنغال وكذلك في تمبكتو وسيجو ،
وأسسوا الزوايا في كائو ، وبرنو ، وواداي ، وشنقيط ،

.. واستمرت الطريقة التيجانية في النمو والازدهار وزاد عدد اتباعها حتى أصبحت الطريقة السائدة في كثير من بلدان غرب إفريقيا (٢) .

وكما ذكرنا فان هذه الطرق الصوفية لعبت دورا هاما وخطيرا في مقاومة الدول الاستعمارية حين حاولت مد نفوذها للأقطار الإفريقية - وان كان الدور الذي لعبته هذه الطرق الصوفية في مقاومة الاستعمار لم يكشف عنه النقاب تماما الى الآن اذ أن اتباع هذه الحركات والمريدين الذين التفوا حولهم اعتبروا الجهاد السياسي المتصل بالوطن وحرية والوقوف في وجه أعدائه والمغتصبين جزء من واجبهم لا ينفصل عن الجهاد في سبيل نشر الدين . ومعظم المراجع الأجنبية على وجه الخصوص تعالج الأمر على أنه ثورات من أفراد خارجين على القانون وعلى النظام ، فواجبنا يحتم علينا أن نضع هذه الحركات الوطنية في مكانها الصحيح .

وقد أدى تبني هذه الحركات لقضية الجهاد الوطني الى شعبيتها واندفاع الشباب بالذات للانضمام اليها .

(٢) لمن يريد التوسع في دراسة التيجانية يرجع الى :
أ - أبو العباس أحمد بن أحمد العياشي : كشف الحجاب على من تلقى مع التيجاني من الأصحاب (فاس ١٣٢٥ هـ) .
ب - جواهر المعاني وبلوغ الأمان في منقذ الشيخ التيجاني - المعروف بالكناشي (القاهرة ١٣٤٥ هـ) .

فكما ذكرنا لا يوجد شاب في غرب افريقيا الا وانضم لهذه
أو تلك من الحركات الصوفية ، ونحن لا نستطيع أن نلم بجميع
الحركات الصوفية أو الدينية أو ما تفرعت عنها من حركات
في افريقيا والدور الديني أو السياسي الذي قامت به - لكن
نشير لبعضها •

فمثلا من الحركات التي برزت في شمال افريقيا والتي كان
لها دور في مواجهة الاستعمار - الحركة السنوسية وهي التي
تنسب الى محمد بن علي السنوسي ، ويرجع نسبه الى ادريس
الأكبر أول خلفاء الأدارسة بالمغرب ثم الى علي بن أبي طالب
وزوجته فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) •

وقد ولد السنوسي الكبير حوالي عام ١٧٨٧ بالقرب من
مستغانم في الجزائر ، وتعلم على فقهاء وعلماء عصره في
مستغانم ، وفاس ، ومصر ، والحجاز ، وقد قام برحلة الى الحجاز
وعاد منها الى مصر حيث اتصل بعلماء الأزهر في القاهرة وانهى
به المطاف الى برقة حيث أسس زاوية البيضاء بها في أواخر
عام ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ م ولما بنيت زاوية جغبوب في عام ١٨٥٦
انتقل اليها وأصبحت مركزا للدعوة السنوسية •

والدعوة السنوسية كما يفهم مما تركه السنوسي الكبير من

(٣) الانهيب ، محمد الطيب بن ادريس : السنوسي الكبير ١٦٥٦ ص ٧ .

مؤلفات (٤) كانت تدعو الى العودة بالاسلام الى ما كان عليه في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ونبذ ما جد من أشياء أخرى تتنافى وتعاليم الاسلام الصحيح ، فقد كان الدعاة السنوسيون يطالبون الناس بالتمسك بمبادئ الاسلام الصحيحة .

وقد كانت الزوايا السنوسية تشتمل على فصول للدراسة وأماكن لايواء الطلبة والمدرسين ، وقد عمرت جُيوب وغيرها من زواياهم بالعلماء واشتهرت بخزائنها العلمية .

وقد كان السنوسي الكبير غزير العلم ، مغرماً باقتناء الكتب عن الشريعة الاسلامية وعلم الفقه والتصوف والفلسفة والتاريخ ، والتفسير ، وعلم الفلك ، وقد برزت أسماء عدد غير قليل من السنوسيين في سائر العلوم النقلية والعقلية (٥) .

وقد تعاشت السنوسية منذ البداية الدخول في أمور السياسة ، فتجنب السنوسيون الاصطدام بالدولة العثمانية

(٤) من مؤلفاته التي طبعت :

- ايقاظ الوجدان في العمل بالحديث والقرآن (الجزائر ١٢٢٨ هـ) .
- الدور السنوية في اخبار السلالة الادريسية (القاهرة ١٩٤٢) .
- مقدمة موطا الامام مالك (القاهرة ١٢٨٥ هـ) .
- المسائل العشر او بغية المقاصد وخلاصة المراسد (القاهرة ١٩٢٩) .
- السلاسل العشرة في الاحاديث النبوية (القاهرة ١٢٥٧ هـ) .

Pritchard Evans : The Sanusi of Cyrenaica (Oxford (٥)
1940) P. 17.

صاحبة النفوذ في مصر وليبيا وتونس والجزائر - لكن حين بدأ الاستعمار الفرنسي والايطالي في هذه البلاد العربية تصدى له السنوسيون واعتبروا مقاومة المستعمرين نوعا من الجهاد المفروض على المسلمين وواجبا عليهم فكانت وقفتهم الباسلة ضد المستعمرين خاصة الايطاليين في ليبيا (٦) .

ويجرب بعض المؤرخين مقارنة بين الحركة السنوسية والحركة المهدية التي قامت في السودان ، وهي حركة دينية أيضا قامت ضد الحكم التركي والتدخل الأجنبي في السودان . والمعروف أن المهدي أراد بعد انتصاراته المتعددة واستيلائه على الأبيض أن يضيف الى قوته قوة السنوسيين - ولعله لمس تشابها في الأهداف بين الحركتين - فدعا المهدي السنوسي ليقبل وظيفة الخليفة الثالث ، ولكن السنوسي احتقر دعوة المهدي لما صاحبها من عنف فلم يستجب لهذه الدعوة ولو بالرد عليه .

ويعطى لنا وينجت (Wingate) تفصيلات هذا الاتصال بين المهدي والسنوسي ، فيذكر انه بعد سقوط الأبيض بفترة قصيرة وصل اليها مندوب من السنوسي عن طريق واداي لكنه

(٦) للمريد من التفاصيل انظر :

محمود الشنيطي (دكتور) : قضية ليبيا (القاهرة ١٩٥١) .

محمد فؤاد شكرى (دكتور) : السنوسية دين ودولة (القاهرة ١٩٤٥) .

شوقي الجمل (دكتور) : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث

(القاهرة ١٩٨٠) .

شاهد غير ما كان يتوقع اذ شاهد ما أصاب المدينة على أيدي
اتباع المهدي من التخريب فكل ذرة رمال كما يقول وينجت كانت
ملطخة بالدم ، ورأى في المهدي رجلا ذكيا لبقا في حديثه - لكن
كل ما كان يدور في ذهنه كان هو أن يمد سلطته الى أبعد
ما يستطيع ، وهذا يناقض تماما الدعوة السنوسية في بناء
مجتمع على أساس مقاومة الانحرافات وتنمية موارد الدولة
بالعمل . ويقال إن المهدي لما لم يتلق ردا على خطابه الأول
من السنوسى أرسل خطابا ثانيا للخليفة محمد المهدي ابن
السنوسى الكبير وكان ذلك في رجب ١٣٠٠ هـ (مايو ١٨٨٣ م)
يدعوه فيه للحضور اليه في السودان للانضمام لقواته
والعمل معا (٧) .

ونشير الى أن محمد أحمد المهدي الذى تزعم الحركة
المهدية رغم أنه يغادر السودان ويتصل بعلماء الأزهر وغيرهم
كما فعل السنوسى - لكنه منذ نعومة أظافره ولع بالعلوم الدينية
وغلب عليه الزهد والتصوف وانصرف للعلم وللطرق الصوفية
وتعلق بها ، وانه انضم للطريقة السمانية وشيخها الشيخ
محمد شريف ولد نور الدايم وكان له مركز ممتاز عند استاذة ،

(٧) تفاصيل هذه الاتصالات ذكرها ونجت

Wingate, Major, F.R. : Mahdism and the Egyptian
Sudan (London 1891) PP. 64 — 72.

وانه انضم الى شيخ آخر وهو الشيخ القرشى ، وانه كان يتضايق من أوضاع الناس السيئة فكان يشير الى جامع الضرائب الذى كان بمنتهى القسوة يجرّد الراعى من آخر رأس من الغنم يمتلكها أو ينتزع من الزارع آخر حزمة من الذرة التى كان يحملها لغذاء أطفاله فيعلن للناس أن هذا انما يرجع لغضب الله على الناس بسبب انحرافهم ، لكن حان الوقت الذى ترسل السماء فيه المخلص الذى يرشد الناس للطريق السوى ويقودهم للقضاء على الظلم ويخلصهم من الأتراك القساة (٨) .

على أن انتشار الاسلام والثقافة العربية فى كثير من المجتمعات الافريقية لم يعن انه حدث تغيير جذرى وكامل فى هذه المجتمعات فقد حدث أن بقيت أو ظهرت بعد ذلك فى بعض المجتمعات خاصة فى غرب افريقيا عادات وتقاليد ومبادئ تغاير تماما ما دعا اليه الاسلام ، وأحدث هذا صدمة عنيفة لكثير من العلماء والفقهاء ، ولذا قامت فى هذه المجتمعات حركات تدعو الى المحافظة على المثل والقيم الاسلامية التى نص عليها الاسلام وشرائعه ، وقامت حركات للإصلاح تدعو للعودة الى الأصول

Elatin R. : Fer et feu au Soudan (Traduit de l'Édition (٨)
Almenade par G. Bettex (le Caire 1898) T.I. P. 173.

الأولى للمجتمع الاسلامى كما كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد الخلفاء الراشدين (١) . -

ويحاول بعض الكتاب أن يجدوا وجها للشبه بين هذه الحركات الاصلاحية التى قامت فى غرب افريقيا وغيرها من الحركات التى قامت فى أنحاء أخرى من العالم العربى ، بالحرية الوهاية مثلا التى قامت فى شبه الجزيرة العربية . ولاشك فى أنه توجد بعض أوجه الشبه بين مبادئ هذه الحركات وتلك الحركات وبين أهدافها ووسائلها - لكن توجد أيضا أوجه خلاف أملتها الظروف والبيئات التى قامت فيها كل منها .

ولقد تعددت حركات الجهاد هذه فى امبراطوريات غرب افريقيا - على اننا نشير الى أن أهمية هذه الحركات فىنا نحن بصدد الحديث عنه ترجع الى أن معظم المصلحين الذين برزوا فى هذا المجال كانوا ممن تثقفوا بالثقافة الأزهرية وكانت لهم صلة برجال الفقه والدعوة فى مصر ، وكانت لهم مراسلات بينهم وأغلبهم استقر فى مصر فترة من الزمن واختلطوا برجال الدين فيها سواء وهم فى طريقهم الى الحج أم فى مناسبات أخرى .

ويصعب أن نلم بكل هذه الحركات الاصلاحية أو ان

(١) Willis, J. Ralf. : Jihad Fi Sabil Allah (Journal of African History Vol III No. 3 1967) P. 400.

نعطى فكره عن تاريخ الدين قاموا بها - لكن سنشير الى بعض هذه الحركات والدور الذي قامت به باعتبار أن ظاهرة الحركات الاصلاحية في غرب افريقيا والتي برزت في القرن التاسع عشر على الخصوص كانت ظاهرة هامة ميزت تاريخ غرب افريقيا في هذه الفترة ♦♦

ومن ابرز حركات الاصلاح التي قامت في غرب افريقيا :

١ - حركة عثمان بن فودي :

ولد عثمان بن فودي في عام ١١٦٩ هـ - ١٧٥٤ م من أسرة متدينة بامارة جوير أحد اقاليم نيجيريا الشمالية ، ولدا نشأ نشأة دينية ، وتلقى دروسه الأولى على يد أبيه فقد كان فقيها . ثم أقبل على علوم العريضة يستزيد منها ، وانتقل الى أغاديس (Agades) شمال نانو حيث كانت مركزا للثقافة والعلم في غرب افريقيا ، واتصل بأحد شيوخ الطريقة القادرية - الشيخ جبريل بن عمر - وصار من أقطاب هذه الطريقة ، ولعل ذلك أثر على حياته فنشأ صوفيا وربما فقيها يتمسك بتعاليم الاسلام ويدعو اليها ويحث الناس على التمسك بها (١٠) ♦

وبدأ الشيخ عثمان نشاطه بين قبائل الفلاني التي كان يتنسى

(١٠) عبد الله بن فودي : ضياء التأويل في معاني التنزيل (مطبعة

الاستقامة بالقاهرة) ج ١ ص ٥ .

اليها فكان يعلم ويعظ ولا يكف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١١) •

وقد ازداد عدد اتباع وتلاميذ الشيخ عثمان ولم يكن يوجه توجيهاته الى الحكام بل الى أفراد الشعب — لكن حين دعاه أمير جوير المدعو باوا (Bawa) للقدوم للإمارة وهي إحدى إمارات الهوسا وأكرمه الأمير وسهل له أمر التحرك في الإمارة لوعظ الناس وارشادهم — ابتدأت الحركة ترتبط بالأوضاع السياسية في إمارات الهوسا بصفة خاصة وفي غرب إفريقيا بصفة عامة (١٢) •

(١١) حسن أحمد محمود (دكتور) : مرجع سابق ص ٢٨٨ •
ملاحظة : اختلفت الآراء عن أصل قبائل الفولاني وهل هي أصلاً من غرب إفريقيا أم أنها وفدت الى هذه المناطق — والبعض يرى أن الفولاني من مصر العليا وأنهم هاجروا غرباً عبر شمال إفريقيا ثم واصلوا رحلتهم جنوباً •
والعرب يطلقون عليهم اسم الفلانا •
انظر : حسن أحمد محمود : مرجع سابق ص ٢٨٦ •
وكذلك إبراهيم طرخان (دكتور) : امبراطورية البرنو الإسلامية، ص ١٢٠ •

(١٢) الهوسا — قبائل انتشرت في المنطقة التي تحدها الصحراء الكبرى شمالاً وبرنو شرقاً وثنية النيجر غرباً وانتشرت في الربوع الساحلية بخليج غانا ، وتوجو ، وداهومي ، وبنين ، والكمرون — وقد تعدادهم بـ ١٥ مليون نسمة •
وقد دخلوا في الإسلام منذ أوائل القرن الرابع عشر وأوائل الخامس عشر عن طريق التجار ، وهناك روايات متعددة حول أصلهم • وقد زار الرحالة ابن بطوطة بلادهم في عام ١٣٥٢ وذكر أن أغلبهم كان لا يزال على الوثنية ، وقد أصبحت لهم =

فقد اصطدم الشيخ عثمان بن فودي بحكام جويير الذين هالهم ما لقيته دعوته من انتشار ، وازدياد عدد أتباعه لدرجة أن حكام جويير دبروا مؤامرة لقتل الشيخ مما اضطره للهجرة لمكان أمن حيث أصدر (وثيقة أهل السودان) التي دعا فيها

= لغة عرفوا بها وتعتبر الآن من أهم اللغات المعروفة في نيجيريا ، وهم يعملون بالزراعة والتجارة وبعض الصناعات الأولية . وكانت القوافل تخترق بلادهم من الساحل الشمالى لأفريقيا صوب الداخل ، وقد لعب محمد بن عبد القادر المغلى دورا هاما في نشر الاسلام بين قبائل الهوسا .

وقد كانت للهوسا عدة دولات مستقلة على رأسها حكام منهم في : جويير وكانو ، ورائر ، وكتسينة ، وزارية . وان كانت قد خضعت اسميا في أوائل القرن التاسع عشر لسلطة برنو - لكن الحروب كانت دائمة ومستمرة بين هؤلاء الحكام بعضهم والبعض الآخر وبينهم وبين سلطان برنو .

وقد استطاع عبد الله دان فوديو أن يخضع دويلات الهوسا لسلطانه بعد حروب استمرت قرابة خمسة عشر عاما فدخلت قبائل الفولة بزعامته بلاد الهوسا .

لكن استطاعت انجلترا في الربع الآخر من القرن التاسع عشر اخضاع بلاد الهوسا ، ومقدت مع كل من فرنسا وألمانيا معاهدات اعترفت لها فيها هاتين الدولتين بسيادتها على هذه البلاد .

وقد أصبحت القبائل التي تتحدث اليوم لغة الهوسا متركزة في الأقاليم الشمالية من نيجيريا (سكوتو ، وكانو ، وزارية ، وكتسينة ، وباوكي) بل يسكن بعض قبائلهم في مالي بالسودان الفرنسى سابقا - انظر : - دائر المعارف الاسلامية مادة حوصة .

- عبد الرحمن زكى (دكتور) : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بأفريقيا الغربية (١٩٦١) صص ١٩١ - ١٩٢ .

للجهاد ضد الذين يقفون في وجه الدعوة الإسلامية وشرح
مبررات الجهاد (١٣) •

وقد استجابت جساءة الفولاني لنداء الشيخ وهبت لنصرته
ضد حكام بلاد الهوسا وقد تحركت قوات اماره جوير للاغارة
على الأماكن التي تجمع فيها أتباع الشيخ — لكن قوات الشيخ
استطاعت أن توقع الهزيمة بالمهاجمين (١٤) •

ولم تتوقف الحرب بين الطرفين بل استمر القتال واستطاعت
قوات الفولاني السيطرة على عدة مدن من مدن الهوسا • وفي
عام ١٨٠٥ سقطت اماره زاريا في يد محمد بللو بن عثمان بن
فودي وتبعها عدة امارات من امارات الهوسا حتى دانت معظم
مدن الهوسا للشيخ عثمان وأتباعه •

وفي عام ١٨٠٨ سقطت مدينة الكالوا عاصمة جوير في يد
قوات الفولاني وتبعها اعتراف حكام الامارات المجاورة بالولاء
للشيخ ، وهكذا أصبحت تحت سلطة الشيخ عثمان وأتباعه
امبراطورية شاسعة بلغت مساحتها حوالي ١٨٠٠٠٠ ميل مربع
وبسكنها حوالي عشرة ملايين نسمة •

(١٣) انظر نشر الجمعية في
Journal of African History Vol. II (1961) Pp. 235 — 243

Panikkar, Madhu : The Serpent and The crescent P. (١٤)

175.

ووجد الشيخ انه من الصعب أن يحكم هذه الامبراطورية
الشاسعة حاكم واحد فقسمها الى قسمين :

١ - شمالي شرقى - عين ابنه محمد بللو الاشراف
عليه •

٢ - القسم الجنوبي الغربى - عين أخاه الأصغر
عبد الله بن فودى للاشراف عليه •

أما الشيخ فقد انسحب منذ عام ١٨١٢ من الحياة السياسية
وتفرغ للنصح والارشاد والتأليف حتى توفى فى عام ١٨١٧ •

وكانت مدينة سوكوتو هى العاصمة الرسمية لهذه
الامبراطورية قد تولى الحكم والادارة فى هذه الامبراطورية
أبناء الشيخ واستمروا طوال قرن كامل من الزمان تقريبا
يحافظون على حدود الدولة ويعملون على نشر الاسلام وتطبيق
الشريعة الاسلامية - حتى أخذت القوات الاستعمارية الأوربية
تطبق على المنطقة ، وانهى الأمر بامتداد النفوذ البريطانى الى
هذه الجهات فسقطت سوكوتو العاصمة فى يولييه ١٩٠٣ فى يد
القوات البريطانية ودخلت امبراطورية الفولانى ضمن ما أطلق
عليه اسم (محمية نيجيريا الشمالية) (١٥) •

(١٥) لمن يريد تفاصيل هذه الأحداث يرجع الى :

عبد الله عبد الرازق راعيم (دكتور) : الاسلام والحضارة الاسلامية

فى نيجيريا (١٩٨٤) •

وقد بلغ عدد حكام دولة سوكتو في الفترة من ١٨١٧ الى سقوط الدولة عام ١٩٠٣ أحد عشر خليفة . على أن هذه الدولة التي أقامها عثمان بن فودي وان كانت قد سقطت في عام ١٩٠٣ فان المبادئ التي غرسها والتي قامت عليها الدولة لم تمت بانهاء الدولة ، فقد ساعدت الحركة الاصلاحية الفولانية على ازدهار الحضارة العربية وعلى نشر وترسيخ المبادئ الاسلامية في غرب افريقيا ، وبذا كان القرن التاسع عشر عصر ازدهار الثقافة العربية في هذه البلاد ، وصارت مراكز العلم بهذه البلدان أماكن يلجأ اليها الراغبون في المزيد من الثقافة العربية من مختلف بلدان القارة ، هذا بالاضافة الى أن النظام الاداري (١٦) الذي اتبعته دولة سوكتو والذي حاول الحكام فيه أن يطبقوا الشريعة الاسلامية وما كان متبعاً في البلاد العربية كمصر وغيرها من البلاد الاسلامية - أصبح نظاماً راسخاً في نفوس الناس واعتادوا عليه حتى أن بريطانيا بعد أن وضعت قبضتها على هذه البلاد وجدت من الأسر أن يستمر الهيكل العام للنظام الاداري الذي كان سائداً كما كان دون تغيير جذري طالما أن النظام لا يتعارض مع سياسة بريطانيا الاستعمارية في هذه البلاد .

(١٦) عن النظام الاداري - ونظام القضاء وغيره في دولة سوكتو يرجع الى :
مبداء عبد الرازق (دكتور) : نفس المرجع السابق .

٢ - حركة الشيخ أحمدو لوبو :

هى حركة اسلامية أخرى قام بها أحمدو لوبو أحد اتباع الشيخ عثمان بن فودى فى منطقة ماسينا على نهر النيجر الأعلى لكنه رفض أن يخضع لسلطة دولة سوكوتو وأعلن نفسه أميرا للسومنين ، وكان الهدف من الحركة أيضا محاربة الوثنية التى كانت لاتزال منتشرة فى هذه البلاد وتدعيم مبادئ الاسلام الصحيح ونشر الثقافة العربية الاسلامية بين القبائل فى النيجر الأعلى •

وقائد هذه الحركة الشيخ أحمدو لوبو ينتمى الى احدى العشائر الفولانية المسلمة التى استقرت فى منطقة ماسينا • وهناك خلاف حول تاريخ ولادته لكن من المعروف أنه بدأ نشاطه فى دعوة الناس للتمسك بالدين الاسلامى وتعاليمه فى أواخر القرن الثامن عشر حوالى عام ١٧٩٧ م ، وكان قد انتقل الى مدينة جنى التى كانت فى ذلك الوقت من مراكز الثقافة الاسلامية المزدهرة حيث تعمق فى علوم التفسير والفقه وعلوم الدين الأخرى وأصبح من أتباع الطريقة القادرية التى انتشرت على نطاق واسع فى غرب افريقيا (١٧) •

(١٧) من تاريخ حياته انظر :

Ajajo and Crowder, M. : History of West Africa Vol. II P. 15.

وبالقرب من مدينة جنى بدأ يعلم ويدعو الشباب للتمسك بمبادئ الدين والبعد عما ينهى عنه ، واستمر يعظ الناس لمدة تقرب من عشرين عاما ، وهاجم الحكام والعلماء الذين يتهاونون في تطبيق الشريعة الاسلامية . وحين وصل العداء بينه وبين حاكم جنى لدرجة ان تأمر الحاكم على قتلة اضطر للهرب مع بعض أتباعه الى مدينة سوى (Soy) ، ولما اشتد ساعده وكثر عدد أتباعه هاجم جنى ، وتمبكت ، وكرنارى ، واستطاع بذلك أن يؤسس دولة شاسعة الارحاء في هذه المناطق الهامة بغرب افريقيا . وأسس في عام ١٨١٥ عاصمة جديدة لدولته أطلق عليها اسم مدينة (حمد الله) .

وحاول أن يدير شئون دولته حسب الشريعة الاسلامية فقسمها الى امارت عين أميرا لادارة كل منها ، وأنشأ بيتا للمال ، ووضع نظاما اقتصاديا وفق الشريعة الاسلامية ، وأوجد الى جانبه مجلسا استشاريا من العلماء ، كما أنشأ المدارس لتحفيظ القرآن ولتنشر الثقافة الاسلامية . وقد اعتبر أحمد ولوبو نفسه معبود العناية الالهية لاتخاذ المجتمع الاسلامى في غرب افريقيا من الانحراف عن الاسلام .

ومات الشيخ أحمدو في عام ١٨٤٤ وخلفه ابنه أحمدو الثانى أو أحمدو شيخو - كما كان يعرف - وقد حكم حتى عام ١٨٥٢ ثم خلفه ابنه أحمدو الثالث (أى حفيد أحمدو لوبو)

وقد استمر أحمدو الثالث قرابة العشر سنوات في إدارة شئون الدولة حتى خضعت لقوات الحاج عمر التكرورى فانتتهت بذلك دولة ماسينا التى قامت وازدهرت في غرب افريقيا قرابة النصف قرن .

٣ - حركة الحاج عمر التكرورى :

ولد الحاج عمر في عام ١٧٩٧ في قرية حلوا على الحدود السنغالية الموريتانية الى الشرق من مدينة سان لويس ، وهو ينتمى الى أسرة متدينة ، وتلقى تعليمه على يد والده ، ثم قام بجولة في عام ١٨٢٦ زار فيها عدة مدن في غرب افريقيا - فزار فاس . ومراكش حيث تتلذذ على الشيخ أحمد السنغالى أحد شيوخ التيجانية ، وارتبط بهذه الطريقة التيجانية وسافر الى القاهرة حيث أقام بها فترة اتصل فيها باتباع الطريقة الخلواتة احدى فروع الطريقة التيجانية ثم عاد أخيرا لغرب افريقيا .

وبعد عودته التف حوله عدد كبير من تلاميذه ومريديه فكون جيشا مسلحا بالأسلحة الحديثة التى اشتراها من الأوربيين الذين كانوا يقدون بأسلحتهم لساحل افريقيا الغربية ، وبهذا الجيش استطاع الحاج عمر أن يخضع عدة مناطق من مملكة البمبارا ، ومنطقة سيجو وغيرها من المناطق التى كانت تابعة للشيخ أحمدو الثالث حفيد أحمدو لوبو ، واصطدم الشيخ عمر

بالفرنسيين الذين كانوا يتوغلون في غرب القارة من منطقة
السنغال (١٨) •

وقد توفي الحاج عمر في عام ١٨٦٤ تاركا ابنه أحمدو الشيخ
ليخلفه في حكم هذه الامبراطورية الشاسعة ، فقسم الامبراطورية
الى اربعة اقسام عهد بحكم كل قسم منها لقريب من اقاربه •
لكن الفرنسيين أخذوا يتوغلون في داخل القارة من الغرب خاصة
بعد أن أدى مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ الى التكالب الاستعماري
على القارة ، واصطدموا بقوات التكروري وقضوا على هذه
الامبراطورية التي كانت تقف حائلا دون تقدمهم شرقا - وهكذا
انتهت امبراطورية الحاج عمر •

ونلاحظ ان هذه الحركات الاصلاحية تشابهت في عدة مسائل
كما اختلفت في خصائص اخرى :

١ - فقد اتحدت الحركات الثلاث في أن هدفها الأساسي
كان تخليص المجتمع الاسلامي في غرب افريقيا من الشوائب ؛
فقد هال المصلحون في غرب افريقيا أن البدع والخرافات لاتزال

(١٨) عن المعارك ضد الفرنسيين انظر :

Crowder, M. : West Africa Under Colonial Rule.

منتشرة في هذه المناطق من القرن التاسع عشر على الرغم من دخول الاسلام هذه الجهات وانتشاره فيها من سنوات عدة .

٢ - تثقف القائمون بهذه الحركات ثقافة دينية وتأثروا بما كان في الشرق الاسلامي ومصر بالذات من ثقافته دينية ومن علوم ومعارف ، وقد قدر لبعضهم أن يزوروا القاهرة وأن يتصلوا بالأزهر ورجاله ، ومن يقدر له ذلك تأثر بالأزهر ورجاله تأثيرا غير مباشر . فآثر الأزهر واضح في كتاباتهم وفي مبادئهم وفي دعوتهم رغم الخلافات الهامشية بين مبادئ الحركات الإصلاحية المتعددة .

٣ - ترتب على الحركات الثلاث نشر الدين الاسلامي ومبادئه والثقافة العربية على نطاق واسع بين القبائل والأفراد في غرب افريقيا .

٤ - كان الهدف من هذه الحركات هو اصلاح أوضاع المسلمين في هذه البلاد ونشر الاسلام بين الوثنيين بها - لكن أدت حركات الجهاد التي قادها هؤلاء المصلحون الدينيون الى الاصطدام بالسلطات الحاكمة واقامة امراطوريات اسلامية في غرب القارة .

٥ - اصطدمت هذه الحركات بالمستعمرين الأوروبيين الفرنسيين والانجليز وغيرهم الذين كانوا قد اتجهوا بعنف وشدة

خاصة بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ الى نشر نفوذهم بأسرع ما يمكن على أوسع رقعة ممكنة من القارة .

٦ - كان رواد هذه الحركات كلها من الصوفية سواء أكانوا من أنباع الطريقة القادرية أم التيجانية ، وقد ساهموا عن قصد أو غير قصد في نشر مبادئ الطريقة التي يعتنقونها في المناطق التي امتد نفوذهم اليها .

٧ - اعتمدت الحركات الثلاثة على عامة الشعب من الفلاحين والرعاة والتجار وغيرهم بينما اصطدمت بالحكام الذين رأوا في هذه الحركات وما تمثله من قوة وتجمع حول زعيم واحد ما يهدد سلطانهم ولذا ناصبوها العدا .

٨ - هذه الحركات التي أعطينا أمثلة لها في غرب افريقيا لم تكن الا صورة من صور الصحوة التي شهدتها المشرق العربي والتي كانت تهدف لدعوة المسلمين لوقفه يراجعون فيها أوضاعهم ليحكموا على مدى ملاءمتها لما كانت عليه أوضاع المسلمين وحياتهم في فجر الاسلام فهي في الحقيقة جزء من الحركات الإصلاحية في العالم الاسلامي التي كان هدفها الأساسي محاربة البدع والعادات الضارة التي شاعت بين الناس .

٩ - من الآثار الهامة التي تربت على هذه الحركات والتي بقيت قائمة في المجتمعات الافريقية رغم الاستعمار الأوروبي

النظم التي قامت في هذه الأسباطوريات الإدارية والتي وجهت
هذه المجتمعات في مختلف انشواحي الاداريه والاقتصادي
والماليه والفضائيه للسير حسب ما تمليه الشريعة والمبادئ
الاسلامية (١٩) .

وفد حاول الحكام المصلحون في الامبراطوريات التي
افاموها ان يقلدوا بقدر استطاعتهم النظم والاتجاهات التي كانت
سائدة في البلاد الاسلاميه الاخرى ومصر على وجه الخصوص ،
كما استقدموا المهندسين المعماريين من البلاد الاسلاميه الاخرى
لبناء القصور والمساجد والمدارس التي ألحقت بها على نسق
ما كان شائعا في الشرق الاسلامي (٢٠) .

١٠ - ولعل من المهم ان نشير الى اهتمام المصلحين من رواد
هذه الحركات بمجالس العلم والعلماء والى الحلقات التي كانوا
يعقدونها لتبصير الناس ببيادى دينهم وشرح ما كان غامضا
على العقول والأفهام .

ولعلنا نجد في ذلك صورة لما كان يحدث في أروقة
الأزهر من دراسات وتعاليم وتوجيه .

(١٩) للتفاصيل عن هذه النظم يرجع الى بحث
Johnston, Marlon : Economic Foundations on an Islamic
Theocracy (Journal of African History ... X Vu, 44) 1976).

(٢٠) نعيم قداح : افريقيا الغربية في ظل الاسلام (دمشق ١٩٦٠)

دور الأزهر فى الكفاح الوطنى فى مصر وصدى ذلك فى باقى الأقطار الأفريقية

محتويات الفصل :

- موقف الأزهر من الاحتلال الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨ •
- موقف الأزهر فى الفترة الى أعقبت خروج الفرنسيين من مصر •
- دور علماء الأزهر فى تولية محمد على حكم مصر ومساندته ، وموقف محمد على منهم •
- الأزهريون وحركة التطوير الحديثية (رفاعة الطهطاوى) •
- الأزهريون والثورة العرابية •
- الأزهريون وثورة ١٩١٩ •
- الأزهريون وثورة ١٩٥٢ •
- صدى ذلك فى باقى الأقطار الأفريقية •

كان زعماء الأزهر هم ملاذ الشعب المصرى خاصة في النصف الثانى من القرن الثامن عشر - فقد كان الشعب يلوذ بهم لرفع المظالم عنه كلما حاق به ظلم أو طغى حاكم ، وكانت لهم من هيبتهم ومن نفوذهم ومن علمهم واحترامهم ما يؤهلهم للقيام بهذه المهمة وما يجعل الحكام يحسبون لهم ألف حساب ويقدرون تدخلهم لصالح الرعية .

ولا يمكن أن تتبع بإسهاب موقف الأزهر ورجاله من الأحداث السياسية التى آلت بمصر ، فكفاح الأزهر هو تاريخ كفاح أمة بأسرها - لكن نشير بسرعة الى بعض هذه المواقف والى صداها فى أنحاء أخرى من القارة الافريقية .

١ - دفاع الأزهر عن حقوق الشعب المصرى :

كان للأزهر فى مختلف العهود دور طلعى فى مساندة الكفاح القومى والدفاع عن حقوق المصريين ، فقد حدث ان وقع

ظلم من بعض رجال محمد بك الألفى على الفلاحين في بلبس
ولجأ هؤلاء الى الشيخ الشرقاوى شيخ الأزهر فعقد اجتماعا
في الأزهر واتخذ العلماء المجتمعون عدة قرارات دفاعا عن
حقوق الشعب منها :

- (أ) يجب ألا تفرض ضريبة الا اذا أقرها الشعب .
- (ب) أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم .
- (ج) ألا تمتد يد ذى سلطان الى فرد الا بالحق والشرع .
- وهذه الوثيقة أشبه ما تكون بإعلان حقوق الانسان (١) .

٢ - موقف الأزهر من الاحتلال الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨ :

كان بوناپرت يدرك ما لعلماء الأزهر من مكانة في نفوس
الشعب المصرى ، ولذلك حاول منذ البداية التقرب اليهم
واتخاذهم وسطاء بين الفرنسيين وجماهير الشعب المصرى ،
خاصة أن نابليون ادعى منذ وطأت قدماه أرض مصر أنه يحترم
القرآن الكريم والدين الاسلامى وأن فرنسا صديقة السلطان
العثمانى وحليفة المسلمين (٢) .

(١) محمد عبد الله ماضى وآخرون : الأزهر في ١٢ عاما ص ٢١ .
(٢) انظر ما جاء بهذا الخصوص في منشوره الى المصريين الذى كتبه
وهو لا يزال معرض البحر على ظهر البارجة أوريان .

والدليل على تقدير نابليون لعلماء الأزهر والدور الذى يمكن أن يلعبوه انه بمجرد دخوله القاهرة فى ٢٤ يوليو ١٧٩٨ أمر بإنشاء ديوان القاهرة من تسعة أعضاء كانوا جميعا من علماء الأزهر ، وقد عهد لهذا الديوان بالادارة المحلية لمدينة القاهرة وضواحيها •

وقد أضفى بونايرت على علماء الأزهر الكثير من مظاهر الاحترام والنفوذ وكان حريصا على ارضائهم ، فكان يهتم بشغل المناصب الدينية الكبرى كمنصب تقيب الاشراف ، كما اهتم بان تتم الاحتفالات بالأعياد الدينية كالمولد النبوى الشريف وكالاحتفال بتعيين أمير الحج وكالاحتفال بمولد الامام الحسين فى مواعييدها (٣) •

وقد برز الأزهريون فى المجمع العلمى الذى أنشأه الفرنسيون وفى مقدمتهم الشيخ حسن العطار الذى تعلم على يديه عدد من العلماء المصريين (٤) •

(٣) لمزيد من التفاصيل يرجع الى :

عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : الأزهر جامعا وجامعة ج ٢ (١٩٨٤ / ص ٣٤٤ وما بعدها •

(٤) تأثر بالشيخ حسن العطار عدد كبير من العلماء لعل من أبرزهم رفاة الطهطاوى كما سنشير فيما بعد - وعن تاريخه انظر :

صالح مجدى (بك) : كنز الجواهر فى تاريخ الأزهر (القاهرة ١٣٢٠ هـ)

ص ١٣٨ •

على أن هذه المحاولات لم تجد فقد كان الأزهر مركز قيادة الثورة التي اندلعت في مصر ضد الفرنسيين ، وفي رحابه كان يجتمع الناقمون على الغزاة المعتصمين • وقد صدم نابليون لهذا الوضع الذي لم يكن يتوقعه فصب نار غضبه على الأزهر ورجاله •

فلم تمض ثلاثة شهور على دخول الفرنسيين القاهرة حتى قامت ثورة أكتوبر ١٧٩٨ • وقد بدأت شرارتها من الأزهر حيث تكونت لجنة من رجاله برئاسة الشيخ محمد السادات للاعداد للثورة •

وكانت بدايتها حين انطلق رجال الأزهر شيوخه وطلابه في الشوارع المحيطة بالأزهر يدعون الناس الى الجهاد ضد الفرنسيين ، وصعد المؤذنون الى مآذن المساجد يدعون المسلمين الى المشاركة في هذه الانتفاضة ضد أعداء الدين • وقد قدر عدد الذين احتشدوا في الجامع الأزهر وفي ساحته الخارجية بخمسة عشر ألف ثائر ، وتسليح الثوار بسا وصل الى أيديهم من أسلحة • وقد قتل في هذه الثورة ديبوى الحاكم العسكرى لمنطقة القاهرة وعدد كبير من رجال كتيبه بالإضافة الى غيرهم من الجنود الفرنسيين الذين تصادف تجوالهم في شوارع القاهرة بغير سلاح •

ولجأ الفرنسيون لنصب مدافعهم على مرتفعات القلعة والمقطم التي تتسلط على منطقة الأزهر وأخذت بطاريات مدفعيتهم تقصف الأزهر قصفا مركزا ومتواصلا ، كما احتلت كتائب من الجنود الطرق والدروب المؤدية الى جامع الأزهر ، وبذلك حاصرت القوات الفرنسية الثوار في الأزهر بين قذائف المدفعية وطلقات البنادق (٥) .

وقد انتقم الفرنسيون من الثوار أشد انتقام فلم يراعوا حرمة الجامع بل عسّدوا الى النهب والسلب فضلا على المذبحة التي ارتكبوها داخل الأزهر ، ودخل الجنود بخيولهم في المسجد وألقوا بالمصاحف والكتب على الأرض وداسوا عليها بأحذيتهم وحطّبوها خزائن الطلبة وكسروا القناديل ، والأواني . ولعل وصف الجبرتي لهذه الفظائع يعطى صورة عن أعمال الانتقام هذه التي أقدم عليها الفرنسيون في الجامع الأزهر (٦) .

ولم يكتف بونابرت بالفظائع التي ارتكبت في الأزهر أثناء اخماد الثورة فأصدر في ٢٣ أكتوبر - بعد نجاح الفرنسيين في اخماد الثورة - أمر بهدم الجامع الأزهر واقامة نقطة مراقبة قوية فيه وهدم المتاريس والأبواب التي تسد الشوارع المؤدية

(٥) لزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث انظر :
Rebaud, Louis et autres : Histoire Scientifique et Militaire de
l'Expedition Francaise en Egypte t. IV. P. 177.

(٦) الجبرتي ج ٣ ص ٢٦ .

اليه ، وان كان أمر الهدم هذا لم ينفذ لكن صدوره من بونايرت يدل على شعوره بالدور الذى قام به الأزهريون فى الثورة ومدى التأثير الذى لهم على المصريين (٧) .

وبعد أن خمدت الثورة ذهب أعضاء الديوان ومشايخ الأزهر الى بونايرت لمقابله ليتمسوا منه الأمان والعفو عن سكان القاهرة ويدعوه أن يأمر باخراج العساكر من الجامع الأزهر ليتمكن الناس من الصلاة فيه فأجابهم الى طلبهم لكنه أبقى قوة من سبعين جنديا فى منطقة الأزهر للمحافظة على الأمن والنظام .

على أن بونايرت حث بوعده الذى قطعه لأعضاء الديوان بالعفو التام فقد اسرف الفرنسيون — بعد أن هدأت الأمور — فى الانتقام من سكان القاهرة كما ألقوا القبض على بعض علماء الأزهر الذين اتهموا بانهم كانوا المحرضين على الثورة واعتقلوهم فى دار البكرى ثم أعدموهم بعد ذلك ، وقد قدر الشيخ عبد الله الشرقاوى عددهم بثلاثة عشر عالما (٨) .

ولما اشتعلت ثورة القاهرة الثانية فى ٢٠ مارس ١٨٠٠ فى عهد قيادة كليبر للحملة بعد مغادرة بونايرت للبلاد طلب كليبر

(٧) الثناوى : مرجع سابق عن ٤٥٢ ، ٤٥٤ .

(٨) عبد الله الشرقاوى : تحفة الناظرين عن ولى مصر من الولاة والسلاطين (١٢٨٦ هـ - ١٨٦٦) ص ٥٥ .

من علماء الأزهر أن يكونوا سفراء بينه وبين الجسائر على أساس أن تنتهى الثورة فى مقابل أن يعطى أهل القاهرة أمانا ، ولما لم يصل الطرفان الى اتفاق واستمرت الثورة قام الفرنسيون باخمادها بالقوة •

وفرض كليبر على المصريين غرامة مالية كبيرة وخص علماء الأزهر بنصيب كبير من هذه الغرامة ولم ينج من تعذر عليه دفعها منهم من التعذيب (٩) •

ولما حدث حادث اغتيال كليبر فى ١٤ يونيو ١٨٠٠ وثبت أن القاتل سليمان الحلبي كان طالبا سابقا فى الأزهر ، وبأنه قبل تنفيذ عملية الاغتيال كان مقيما فى رواق الشام بالأزهر ثلاثين يوما - ثارت الشكوك حول علماء الأزهر وشيوخه وطلابه •

وجرت التحقيقات لمعرفة هل كان منهم من يعلم بنية القاتل • وأزاء هذه الاجراءات المستمرة والمهينة من السلطات الفرنسية قبل شيخ الأزهر ورجاله أن يغلق الأزهر منعا لاثارة الريبة والشكوك فى رجاله • وظل مغلقا حوالى العام فلم يفتح الا قبيل جلاء الفرنسيين عن مصر •

وفى الفترة التى كانت فيها أبواب الأزهر مغلقة لجأ

(٩) انظر ما ذكره الجبرنى ج ٢ ص ١٥٠ ج ٤ ص ١٦٢ عما لاقاه الشيخ محمد السادات من صنوف التعذيب •

الفرنسيون الى اعتقال شيخ الجامع الأزهر عبد الله الشرقاوى وعدد كبير من علمائه في القلعة وقضوا في المعتقل ما يقرب من مائة يوم (١٠) •

كما أن التحقيقات التي أجراها الفرنسيون أثبتت أن أربعة من طلبة الأزهر كان القاتل قد أفضى اليهم بعزمه على قتل القائد الفرنسى فحكم عليهم بالاعدام ونفذ الحكم في ثلاثة منهم أما الرابع فنجح في الهرب (١١) •

٣ - موقف الأزهر في الفترة التي أعقبت خروج الفرنسيين من مصر :

كانت الفترة التي تلت خروج الفرنسيين من مصر في عام ١٨٠١ حتى تولية محمد على الحكم في عام ١٨٠٥ فترة فوضى وتطاحن بغرض الوصول للحكم بين المماليك والعثمانيين والانجليز •

وقد لعب الأزهر ورجاله دورا هاما في هذه الفترة من تاريخ مصر - فكان علماء الأزهر يتوسطون دائما بين الحكام والمحكومين لرفع المظالم عن الشعب خاصة أن هذه الفترة

(١٠) انظر ما كتبه الشيخ عبد الله الشرقاوى عن فترة الاعتقال هذه مرجع سابق ص ٥٨ •

(١١) البيرتى ج ٣ ص ١١٧ - ١٢٣ •

شهدت الكثير من أعمال العبث التي كان يقوم بها الجنود الذين يجلبهم العثمانيون لمحاولة تثبيت سلطانهم في مصر . وكان الشعب دائما يلوذ بعلماء الأزهر لوقف الاعتداءات المتكررة عليه ، فبالإضافة الى اعتداءات الجنود كان الولاة العثمانيون يفرضون الضرائب الباهظة المتكررة لرفع رواتب الجند المتأخرة والتي عجزت الدولة عن دفعها - فكان الناس يلوذون بالشيخ الشرقاوي والسيد عمر مكرم تقيب الأشراف وغيرها من العلماء لرفع الظلم عنهم .

هذا بالإضافة الى الدور الذي لعبه المماليك الطامعون في استعادة ما كان لهم من نفوذ وسلطة قبل مجيء الفرنسيين لمصر .

ونشير في هذا المجال الى أن محمد علي باشا استطاع وسط هذه الظروف والمعاناة التي كان يعاني منها الشعب المصري أن يتخذ من علماء الأزهر ركيزة لتحقيق مآربه اذ أدرك بذكائه ما لهم من نفوذ لدى الشعب وكان بحاجة الى كسبهم الى صفه بعد أن تظاهر بتعاطفه مع الشعب في محنته وأنه يناهز بجنوده عما يمس مصالح المصريين المطحونين مما مهد الطريق لوصوله لحكم مصر .

٤ - دور علماء الأزهر في تولية محمد علي ومساندته وموقفه منهم:

لعب علماء الأزهر دورا رئيسيا في عزل خورشيد باشا

الوالى التركى التى كثرت مظالمه للشعب ، فقد أجمع بعض علماء الأزهر وعلى رأسهم عمر مكرم على المناداة بسقوط خورشيد وتولية محمد على واليا بالنيابة الى أن يصدر السلطان العثمانى فرمان بتثبيت محمد على واليا على مصر .

ويعطينا الجبرتنى صورة تفصيلية كاملة عن المراحل التى تمت فيها هذه الحركة الشعبية الى أن اضطر السلطان لاصدار فرمان بتولية محمد على (١٢) .

وهكذا نجح علماء الأزهر فى أن يقودوا الشعب المصرى ليفرض ارادته فيختار بنفسه الحاكم الذى يتولى أموره .

لقد ساند علماء الأزهر محمد على باشا اعتقادا منهم انه الشخص الذى اختاروه وانه سيعمل بإرادة الشعب ويحقق مصالحه . وظهر موقف علماء الأزهر مرة أخرى من محمد على حين اتجهت نية السلطان لنقله الى ولاية سالونيك فى اليونان واصدر السلطان فرمانا بذلك (١٣) .

فقد كتب علماء الأزهر وعلى رأسهم عمر مكرم التماسا

(١٢) الجبرتنى ج ٣ ص ٢٢٠ وما بعدها .

(١٣) انظر تفاسيل هذا الحادث :

محمد فؤاد شكرى (دكتور) : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ج ٢

ص ٢٩٢ وما بعدها .

للسلطان يرجون منه ابقاء محمد على في مصر مما أدى الى تراجع الباب العالي واصدار فرمان بتثبيت محمد على في ولاية مصر . ولم يقف دعم ومساندة رجال الأزهر لمحمد على عند هذا الحد - فقد حدث بعد ذلك حين تعرضت مصر سنة ١٨٠٧ لحملة فريزر - أن دعا عمر مكرم شيوخ الأزهر وطلبته الى المشاركة في قتال الغزاه فقاموا بحفر خندق لحماية القاهرة - وقد أدى هذا الموقف من علماء الأزهر وطلبته الى الهاب المشاعر الدينية لدى سكان القاهرة (١٤) .

والغريب أن محمد على بدأ يشعر بالانزعاج من نفوذ عمر مكرم ورجاء الأزهر ومن المكانة التي أصبحت لهم في نفوس الناس ، فلما أبدى عمر مكرم ومشايخ الأزهر رغبتهم في السفر لرشيد للمساهمة في مواجهة الغزاة هناك استهجن محمد على هذه الرغبة وقال لهم « ليس على رعية البلد الخروج . وانما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر » وكلف محمد على عمر مكرم والمشايخ بجمع المال اللازم لمواجهة الغزاة (١٥) . ورغم وقع هذا الموقف العجيب من محمد على تجاه عمر مكرم ورجال الأزهر فقد ساندوه ودبروا له كل ما كان

(١٤) الجبرتي ج ٤ ص ٥٠ .

(١٥) انظر التفاصيل في :

مبدع العزيز الشناوي (دكتور) : عمر مكرم (١٩٦٧) ص ١٩٢ وما بعدها .

بحاجة اليه من مال وموّن ودواب لمقابلة البريطانيين في رشيد
والحماد لحماية القاهرة وضواحيها الى أن تم جلاء الانجليز
تماما عن الاسكندرية •

على أن محمد على استغل أمر الحملة الانجليزية ليضفي
على نفسه هالة من المجد ناسيا النصر كله لنفسه متجاهلا تماما
المصريين والدور البطولي الذي لعبوه في هذا الكفاح •

وبعد ان تخلص محمد على من أمر الحملة البريطانية
اتجه الى علماء الأزهر فقد كانوا هم يريدون أن يرجع اليهم
محمد على في تصريف شئون الحكم على أساس أنهم هم الذين
نادوا به واليا على مصر وساعدوه ليوطد مركزه فيها ، وكان قد
وعدهم باستشارتهم في المسائل الكبيرة - لكن محمد على
كان يدبر لاقصاء علماء الأزهر وفي مقدمتهم عمر مكرم عن
الحياة السياسية وعن التعرض له فيما يخص الجماهير - في
الوقت الذي كان يدفع بهم لمواجهة المشاكل الهامة التي تثير
الجماهير خاصة أن النصر الذي تحقق على الانجليز في رشيد
والحماد قد أدى لتوطيد مركزه • وقد نجح محمد على في إثارة
التنافر والتنافس على المناصب بين شيوخ الأزهر ليحقق مآربه
في التخلص من هذه الطائفة التي تريد أن تحد من سلطاته
وعلى رأسهم عمر مكرم •

ونجح محمد على بوسائله في عزل عمر مكرم من نقابة
الأشراف ونفاه الى دمياط بعد أن وجد منه اصرارا على موقفه
منه ، وأحل محله في نقابة الاشراف الشيخ محمد السادات .
تم ذلك في اغسطس ١٨٠٩ . وقد أمضى عمر مكرم في دمياط
ثلاث سنوات قبل بعدها محمد على تغيير اقامته الى طنطا حيث
قضى بها منفيًا سبع سنوات أخرى حتى أذن له محمد على بالعودة
الى القاهرة والاقامة في داره بها ، تم السفر الى الحجاز لتأدية
فريضة الحج وكان ذلك في يناير ١٨١٩ . على أنه بعد ابعاد
عمر مكرم لم يجد محمد على صعوبة في تصفية بقية الزعامة
الأزهرية . وأشار الى ان محمد على لجأ مرة أخرى الى نفى
عمر مكرم والمشايخ بجمع المال اللازم لمواجهة الغزاة (١٥) .
طاعنا في السن وذلك اثر حركة تدمير وسخط من المصريين بسبب
فرض محمد على ضرائب جائرة وظن محمد على انه لا بد أن
تكون لعمر مكرم يد في ذلك ، وقد انتقل عمر مكرم الى جوار
ربه في نفس العام أي في عام ١٨٢٢ .

٥ - الأزهريون وحركة التطوير الحديثة :

لا بد من الإشارة ونحن بصدد الحديث عن دور الأزهر
الريادي في مصر ثم انتقال هذه الآثار للدول الافريقية
الأخرى - الى أن الأزهرين كانوا ضمن أول بعثات تعليمية
أرسلت الى الأجنبية في عصر محمد علي - فقد برزوا في

مقدمة المثقفين ، وكان لهم دور كبير فيما بعد في تطوير التعليم بالأزهر الشريف ، وفي مقدمة هؤلاء رفاعة الطهطاوى • وقد جاء الى الأزهر لطلب العلم في سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٧ م) وقضى في الأزهر زهاء ثمانى سنوات وقد سافر الى باريس في يولييه سنة ١٨٢٦ وعاد الى القاهرة من باريس في أواخر سنة ١٨٣١ حيث عمل مترجما في مدرسة الطب ، وانتقل بعد ذلك الى مدرسة المدفعية (الطبوجية) وأسندت له بعد ذلك ادارة مدرسة الألسن •

وبعد الغاء مدرسة الألسن في عهد عباس أرسل رفاعة للسودان لانشاء مدرسة في الخرطوم ، وقد ظل رفاعة في السودان حتى نهاية عهد عباس فعاد لمصر في عام ١٨٥٤ في أوائل عهد سعيد وتوفي رفاعة في غرة ربيع الثانى ١٢٩٠ هـ (٢٧ مايو ١٨٧٣) (١٦) •

٦ - الأزهر وثورة عرابى :

شهدت الفترة التى أعقبت حكم محمد على لمصر ازدياد النفوذ الأجنبى فيها فقد بدأت هجرة الأوربيين الى مصر فازداد عددهم في مصر بشكل ملحوظ وتضاعفت رؤوس الأموال الأجنبية

(١٦) من حياته انظر :

احمد احمد بدوى : رفاعة الطهطاوى بك (١٩٥٠) •

المستغلة في مصر - وقد شجعت الأجانب على ذلك الامتيازات الأجنبية التي تمتعوا بها بالإضافة الى تشجيع الحكام المصريين للأجانب أفرادا وشركات على استغلال رؤوس أموالهم في مشروعات حكومية وخاصة في مصر ، ولازم ذلك القروض الأجنبية للحكومة المصرية •

وكانت مأساة هذه القروض قد بدأت في عام ١٨٦٢ في عهد سعيد فقد بلغ الدين العام عند وفاته ١٦٠٠٠٠٠ ر ١١ مليون جنيه وتضاعفت المشكلة في عهد اسماعيل فبلغ الدين الموحد حسب المرسوم الذي أصدره الخديو اسماعيل في ١٧ مايو ١٨٧٦ بتحويل ديون الحكومة ودين الدائرة السنية والديون السائرة الى دين واحد ٩١٠٠٠٠٠ ر ٩١ مليون جنيه انجليزى (١٧) •

لكن هذه الفترة شهدت أيضا يقظة فكرية ، كما شهدت ازدهار الحركة القومية ونضجا سياسيا واضحا ، ساعد على ذلك عودة رجال البعثات التي كان قد ارسلها محمد علي للخارج من أمثال رفاة الطهطاوى ، كما ساهم في هذه اليقظة رجال مثل جمال الدين الأفغانى (١٨) •

(١٧) قاموس جلال ج ٢ (١٩٠٠) ص ١٢٢ •

(١٨) جاء جمال الدين الافغانى الى مصر لأول مرة عام ١٨٧٠ وتردد على الأزهر واتصل به كثير من الطلبة واقبلوا عليه يتلقون بعض العلوم وسافر الى الاستانة وعاد لمر عام ١٨٧١ وشجعه الخديو اسماعيل على الإقامة بها

ومن تلاميذ جمال الدين الأفغانى الذين لعبوا دورا كبيرا
فى اذكاء روح الثورة ضد الاستعمار والطغيان - الشيخ
محمد عبده وقد تلقى تعليمه فى الجامع الأزهر فحصل على
شهادة العالمية فى سنة ١٨٧٧ وتلمذ على يد الأفغانى وأخذ عنه
الكثير من العلوم ، وقد عمل محررا فى الوقائع المصرية ثم أصبح
رئيسا للتحرير فحاول أن يستغل وضعه هذا للنهوض بمصر
فى جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،
ولما قامت الثورة العرابية أصبح من رجالها المدافعين عن
مبادئها المناهضين للخديو توفيق ، والتدخل الأجنبى فى شئون
مصر ، وعندما انتهت الثورة حوكم مع زعمائها وصدر الحكم
بنفيه خارج مصر ، وكان فى بيروت حين استدعاء أستاذه

وكان مسكنه مكانا يجتمع فيه مع تلاميذه ومريديه فأخذ ينبت ثماره فى نفوس
تلاميذه وكان له اثر بالغ فى نهضة العلوم والآداب بل كان له اثره الأخلاقى
والسياسى . وكان من أصدقائه مخدود باشا البارودى ، والشيخ محمد عبده ،
وعبد الله النديم . وبعد أن تولى توفيق الحكم وانتشار روح الثورة والدعوة
الى الحرية والمطالبة بالدستور فى مصر اتهم جمال الدين الأفغانى بالنحريض
على الثورة فنفى من مصر وسافر الى باريس حيث لقى تلميذه الشيخ محمد عبده
وهناك أصدر جريدة العروة الوثقى للدعوة للامم الاسلامية الى الاتحاد
والتضامن والأخذ بأسباب الحياة والحصارة وانتهى به الأمر بذهابه الى الأستانة
والإقامة بها حيث توفى فى ٦ مارس سنة ١٨٩٧ .

وانت جمال الدين الأفغانى فى دفع الأزهر ورجاله الى مساهمة الملوك
الحضارى الحديث - بل اثره فى إيقاظ روح المقاومة لدى المصريين ضد
التدخل الأجنبى - لا يمكن أن ينكر .

جسار الدين الأفغانى الى باريس وهناك أصدر فى عام ١٨٨٤ جريدة العروة الوثقى • وقد عاد الى مصر فى عام ١٨٨٩ حيث عين عضواً فى مجلس الأزهر فعكف على تطوير التعليم فيه فقد رأى ان الإصلاح الدينى والاجتماعى يمهدان للإصلاح السياسى، وقد واثته الفرصة للإسهام فى الإصلاح المنشود حين عين فى عام ١٨٩٩ مفتياً للديار المصرية وعضواً فى مجلس الأوقاف الأعلى وفى مجلس شورى القوانين •

ومن تلاميذ الأفغانى الذين لعبوا دوراً هاماً فى تاريخ مصر أيضاً - عبد الله النديم الذى لقب بخطيب الثورة العرابية • ولد بالاسكندرية فى عام ١٨٤٥ وتلقى تعليمه بها، وانتقل الى القاهرة حيث عمل ناظراً لمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية • لكنه استقال فى عام ١٨٨١ حيث أصدر صحيفة التنكيت والتبكيث وكان يعالج فيها الموضوعات الاجتماعية والسياسية بأسلوب ظاهره الهزل • ولما بدأت الحركة العرابية آمن بها وأصبح خطيبها والداعى لها - وبعد اضطهاد الثورة اختفى عن الأنظار وظل كذلك تسع سنوات لكن قبض عليه بعد ذلك وحوكم ونفى الى يافا، وقد عفا عنه عباس الثانى فعاد لمصر حيث أنشأ مجلة الأستاذ سنة ١٨٩٢ لكنه أجبر على الرحيل عن مصر مرة أخرى فى عام ١٨٩٤ وقد اضطر لقضاء بقية حياته فى الأستانة حيث توفى بها فى ١١ أكتوبر سنة ١٨٩٦ •

لقد كان للأوضاع التي تردت اليها مصر نتيجة التدخل
الأجنبي والحكم الفردي المستبد أثرها في الأحداث التي أدت
لثورة العرايين - لكن لا شك في أن اليقظة الفكرية والنضج
السياسي وشحن أفكار الشعب بالمبادئ التي تناهض الحكم
المطلق - هي التي دفعت المصريين للمطالبة بحقوقهم الطبيعية في
حكم بلادهم ورفضهم أن يكونوا ترانا أو عقارا يورث ، ودور
الأزهر ورجاله في ذلك واضح وبارز ، ونحن لا نريد أن نصل
الى مجازاة الذين يحاولون أن يجدوا أوجه شبه بين دور
المفكرين من أمثال فولتير ، ومنتسكيو ، وجان جاك روسو -
وبين دور المفكرين والعلماء الأزهريين - في اعداد الشعب
المصري للثورة التي كان على رأسها أحمد عرابي وزملاؤه - لكن
لا شك في أن هؤلاء كان لهم دورهم في الدعوة الى سيادة الأمة
مصدر السلطات ومحاربة الفساد الذي كان مستشرياً في كافة
نواحي الحياة في مصر ، ولا تنسى ان قائد الثورة العرايية
أحمد عرابي كان ممن تلقوا علومهم بالأزهر .

وعندما أرسلت بريطانيا وفرنسا المذكرة المشتركة الأولى
في يناير ١٨٨٢ تعرب الدولتان فيها عن تأييدهما التام لموقف
الخديو من معارضته للحركة الوطنية ورغبته في حل مجلس
النواب وأعقب ذلك صدور المذكرة المشتركة الثانية في ٢٥ مايو
سنة ١٨٨٢ تطالب فيها الدولتان باقالة وزارة البارودي وتفي

عرايى خارج البلاد وابعاد زملائه عن مدينة القاهرة — وكان علماء الأزهر فى مقدمة المستنكرين لهذا التدخل الأجنبى فى شئون البلاد واجتمع الشيخ محمد عبده وبعض العلماء ووضعوا قسم الثورة الذى تعهد فيه الوطنىون بالذود عن البلاد ومواجهة التدخل الأجنبى، والاحتلال وصنيعه الخديو توفيق .

ولما وضع انحياز الخديو توفيق الى جانب الانجليز الذين دبروا مذبحة الاسكندرية فى ٢١ يونيه سنة ١٨٨٢ واتخذوا منها ركيزة لضرب الاسكندرية فى ١١ يوليه فأصدر أمرا فى ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢ بعزل أحمد عرايى — اجتمع علماء الأزهر وأصدروا فتوى بمروق الخديو توفيق عن الدين لانحيازه الى أعداء البلاد ، وقرر المجتمعون عزل توفيق وعدم شرعية ما يصدره من أوامر وتكليف عرايى بالدفاع عن البلاد ، وقد وقع عدد كبير من كبار علماء الأزهر على هذا القرار .

وكان علماء الأزهر دعاة للثورة فى المساجد ، ولما فشلت الثورة العرابية وقبض على زعمائها كان عدد من علماء الأزهر ممن قدموا للمحاكمة وصدرت ضد بعضهم أحكام بالتجريد من الرتب والمناصب ومصادرة الأملاك (١٩) .

(١٩) الأزهر فى ١٢ عاما مرجع سابق ص ٢٤ .

٧ - الأزهر وثورة ١٩١٩ :

رأينا كيف ان جمال الدين الأفغانى وتلاميذه من بعده قد لعبوا دورا حاسما فى بعث روح التجديد فى الفكر الاسلامى فى مصر خاصة والعالم الاسلامى عامة .

ولما اندلع لهيب الثورة فى مصر سنة ١٩١٩ كان الأزهر المركز الذى تنطلق منه الجموع وتعود اليه لتمتلىء بالحماس ثم تنطلق من جديد لتبعث فى الجماهير روح المقاومة والشعور بالعزة الوطنية وتبعث فيهم الرغبة فى التضحية والفداء فى سبيل الوطن .

وكان منبر الأزهر مقصد الخطباء من مسلمين ومسيحيين كما اعتلته المرأة المصرية تؤجج بصوتها نيران الثورة وتوغر الصدور على المعتصبين ، وكان طلاب الأزهر هم الوقود الذى زاد لهب الثورة اشتعالا ، وقد برز فى هذه الثورة الشيخ الغياتى أول شهيد من علساء الأزهر ، والشيخ أبو العيون والشيخ الزنكلونى والشيخ عبد الباقي سرور وغيرهم من شيوخ الأزهر وطلابه (٢٠) .

كذلك كان صحن الجامع الأزهر المكان الآمن لاجتماع الثائرين من أبناء مصر لاتخاذ القرارات الحاسمة لمواجهة

(٢٠) نفس المرجع السابق ص ٢٥ .

المواقف المتعنتة من الدول المحتلة ، وكان طلبته يمثلون أخطر العناصر التي اشتركت في الثورة ، وقد أدركت بريطانيا ذلك واضطرت ازاء قوة الثورة وضراوتها لاصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وان كانت مصر حصلت بمقتضاه على استقلال مبتور - لكنه كان خطوة في طريق الاستقلال الكامل الحقيقي .

٨ - الأزهر وثورة ١٩٥٢ :

لم تحقق ثورة ١٩١٩ أهدافها كما رأينا ولذا كان لابد أن يستمر النضال الوطني ضد المحتل الذي غير من أسلوبه الاستعماري ليتمشى مع تطور الحركة الوطنية في البلاد ، فمرت العلاقات بين مصر وبريطانيا بمراحل مختلفة اتست أحيانا بالعنف والتوتر وأحيانا أخرى بالهدوء ، وأسفرت أخيرا عن معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وعن الغاء المحاكم المختلطة في مصر - لكن أدرك المصريون بعد ذلك أن كل هذه المراحل لا تخرج عن كونها مسكنات وأنها لا تحقق الأحلام الوطنية ، ولذا فقد أعلنت مصر من جانبها في ٨ أكتوبر عام ١٩٥١ الغاء معاهدة ١٩٣٦ وتبعت ذلك الأحداث التي أدت لقيام ثورة ١٩٥٢ .

ومع أن هذه الثورة قام بها الجيش لكن لاشك في أن نجاح الثورة كان قائما على تحالف وتأييد قوى الشعب المختلفة وفي المقدمة المثقفون من رجال الأزهر وغيرهم ، فقد كان لهؤلاء دورهم الهام في إيقاظ الوعي السياسي والاجتماعي في مصر .

ولذلك فقد حرصت الثورة من جانبها على دعم الأزهر
والتمكن له وتوفير كل السبل له ليقوم برسالته على خير وجه ،
كما عملت على تزويد طلابه بالعلوم والمعارف الحديثة بالإضافة
الى دراستهم الدينية والعربية لتتاح لهم فرص المشاركة الفعلية
في مختلف ميادين النشاط والانتاج ، ولأجل ذلك صدر القانون
رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى سبقت الاشارة اليه . وقد استهدفت
الثورة بهذا القانون تمكين الأزهر من أداء رسالته على خير وجه
بحيث يصبح الهيئة الاسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ
التراث الإسلامى وتعمل على نشره ونشر اللغة العربية بين
مختلف الشعوب .

ولتحقيق هذه الأهداف فتحت الأبواب لاعداد غفيرة من
الوافدين من الأقطار الاسلامية للدراسة فى رحاب الأزهر ووفرت
لهم وسائل الاقامة وذلك كافة العقبات ، فتوافدت أعداد
من مختلف الدول الافريقية من شمال القارة وغربها وشرقها
للتزود بالثقافة الاسلامية حتى يعودوا الى بلادهم للمشاركة فى
كل مجالات الحياة ، وفى ظل القانون الجديد تعددت كليات الأزهر
المتخصصة فى مجالات العلم والمعرفة من طب ، وزراعة ،
وصناعة ، وهندسة .

هذا بالإضافة الى البعوث الأزهرية الى مختلف البلاد
الافريقية لنشر مبادئه وتعاليمه . وقد حرص الأزهر فى وضعه

الجديد أيضا على عقد المؤتمرات العلمية والدينية ودعوة العلماء والمهتمين من مختلف الأقطار الافريقية وغيرها للحضور والمشاركة في بحث مختلف القضايا التي تهم العالم الاسلامى .

وقد تضاعفت ميزانية الأزهر بعد ثورة ١٩٥٢ كما أنشئت عدة معاهد دينية في مختلف أنحاء مصر ، وأدخلت دراسة اللغات الأجنبية وطلورت المناهج الدراسية بل شمل التطور الأجهزة الفنية التي تشرف على هذه الأنشطة (٢١) .

صدي ذلك في باقي الأقطار الافريقية :

لقد كان للأزهر كما رأينا دور واضح في الكفاح الوطنى في مصر وقد انتقل صدى هذا النشاط الذى قام به رجال الأزهر الى أقطار متعددة في القارة الافريقية .

والحركات الوطنية في هذه الأقطار في شمال القارة وغربها وشرقها كان على رأسها قادة ورواد اتصلوا بالأزهر بطريقة أو أخرى - نلمس هذا سواء في الحركات التى هبت لمحاربة الاستعمار كالسَّنوسية في ليبيا والمهدية في السودان أم الحركات الإصلاحية التى قامت في غرب القارة وقد أشرنا لبعضها من قبل

(٢١) لمزيد من التفاصيل يرجع الى :

الباب الثانى من كتاب الأزهر في ١٢ عاما بعنوان الأنشطة في الأزهر في ظل الثورة ص ٩٧ وما بعدها ، وانظر قانون التطوير ص ١٠٢ وما بعدها .

كحركة الشيخ عثمان بن فودي وحركة جهاد الشيخ أحمدو لوبو
وحركة جهاد الحاج عمر التكروري •

وتتفق هذه الحركات في اعتبارها الكفاح ضد المستعمر
ضرباً من الجهاد ، كما تتفق حركات الإصلاح في اعتناقها الطرق
الصوفية التي لعبت دوراً هاماً في نشر الإسلام والثقافة العربية
في تلك المناطق بغرب إفريقيا حيث وجدت هذه الطرق نفسها
أمام شعوب وقبائل لم تدخل الإسلام عن اقتناع أو أمام شعوب
تعرف الإسلام اسماً ، ومن ثم كان عملها الأساسي هو نشر
العقيدة الإسلامية على نطاق واسع بين هذه الشعوب ، وبرز
الفقهاء والعلماء سواء من الذين تثقفوا بالثقافات الإسلامية
والعربية ودرسوا وتعمقوا في الدين ثم انتقلوا إلى هذه البلاد
أم من أبناء البلاد ذاتها ، وكانت هذه الطرق الصوفية رغم
اختلاف وسيلة عملها تسعى إلى غاية واحدة هي الوصول
بالنفس الإنسانية إلى درجة الكمال ، وكان التعليم الصوفي
هو أحد الوسائل لتحقيق هذه الغاية المثلى (٣٣) •

كما اتفقت هذه الحركات الإصلاحية في ضرورة العمل على
سيادة المبادئ الحقيقية والتعاليم السابقة للإسلام والقضاء
على البدع والخرافات التي تنس جوهراً للدين ومبادئه •

(٢٢) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ص ٦٥ •

وقد نجحت هذه الحركات الوطنية والاصلاحية نجاحا
منقطع النظير في التصدي للمستعمرين رغم أسلحتهم الحديثة ،
كما نجحت الحركات الاصلاحية في القضاء على تسلط الحكام
المحليين وأقامت مجتمعات اسلامية تضم طبقة من العلماء ورجال
الدين حاولوا تشكيل المجتمع على أسس سليمة والقضاء على
العادات والتقاليد الوثنية .

دور الأزهر فى نشر الثقافة والحضارة العربية فى افريقيا

محتويات الفصل :

- اللغة العربية والدين الاسلامى ركنان مرتبطان
بالأزهر •
- الأزهر حامى الدين واللغة حتى فى وسط المحن التى
ألمت بالعالم العربى •
- البعثات العلمية لأوروبا وحركة التجديد فى الأزهر •
- الاستعمار يحارب العربية باعتبارها ترتبط بالناحية
القومية :
- (أمثلة على ذلك مما أصاب اللغة العربية فى البلاد
التي نكبت بالاستعمار الفرنسى فى شمال افريقيا) •
- الوضع بعد الاستقلال وما يحتمه من مضاعفة الجهد
لاصلاح ما أفسده الاستعمار •

لم تقتصر رسالة الأزهر على الناحية الروحية والوطنية
فحسب بل كان له فضل كبير على اللغة العربية •

فحفظ القرآن وفهم آياته ومعانيه تطلب معرفة اللغة العربية
واتقانها فلغة القرآن جزء من حقيقة الاسلام ، ولذلك سارعت
الشعوب التي دخلت في الاسلام الى تعلم العربية والتكلم بها
والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها والدعوة اليها ، فاللغة
العربية والدين الاسلامي ركنان مرتبطان بالأزهر وهو حامى
العقيدة وناشر الدعوة ولا يمكن أن يقوم برسالته الا بتدعيمه
للغة العربية ونشرها •

ولذا فقد كان اهتمامه بعلوم القرآن وعلوم اللسان ، وعلى
الرغم من قيام طائفة من المدارس والجوامع في القاهرة ودمشق
والقيروان والزيتونة وغيرها بالاهتمام بالعلوم الشرعية والأدبية
فان هذه المدارس لم تسطع أن تظاول الأزهر فضله الخالد على

اللغة العربية في بقائه لسانا للعلم ورباطا للمسلمين في مختلف
الأقطار التي انتشر فيها الاسلام (١) •

فالأزهر بحكم نشأته وبيئته وموقعه الوسط بين الشرقين
الأدنى والأوسط كان ملتقى المسلمين من هنا وهناك ، وموقعه
في القاهرة العاصمة الافريقية ذات الموضع الفريد ، وفي طريق
الحجاج والرحالة من علماءافريقيا - كان له دوره الفعال في
الحفاظ على اللغة العربية بل ونشرها وتعليم أصولها وقواعدها •

ورغم المحن التي ألمت بالعالم العربي نتيجة الغزو المغولي
في منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) والغزو
التركي في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) -
فان الأزهر ظل ملاذا للغة العربية ، ثم تجلت ريادته للحركات
الوطنية في مصر والأقطار الأخرى المناضلة في سبيل حقها في
الحياة الكريمة ، وكان من أبنائه أعضاء في البعثات التي أرسلت
للخارج والتي عادت لتسهم في حركة التجديد في الأزهر •

وقد أدرك القائمون على الأمر أهمية تطوير المناهج
والدراسة بالأزهر وتنويعها بحيث يستطيع الراغبون في التخصص

(١) أحمد حسن الزيات : كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية (نشر
في الكتاب المذكرى بمناسبة احتفالات العيد الألفي للأزهر - القاهرة ١٤٠٢ هـ
١٩٨٢ ص ١١١ وما بعدها) •

فى مختلف فروع العلم من أبناء مصر والدول العربية والافريقية
أن يجدوا فى ربوع الأزهر ضالتهم فيدرسون بالعربية ما يهمهم
من هذه العلوم مع الأخذ بالجديد فى كل فروع التخصص .

ولقد أدركت الدول الاستعمارية دور اللغة فى دعم الروح
القومية ولذا عمدت الى محاربة اللغة القومية واضعاف شأنها
ونشر لغتها هى بين الشعوب المغلوبة . نهجت فرنسا هذا النهج
فى البلاد العربية التى خضعت لها فى شمال افريقيا ، كما سارت
على نفس الأسلوب فى البلاد التى خضعت لها بغرب القارة
فعمدت الى نشر اللغة الفرنسية وأدائها على حساب اللغات
القومية - لكن فى وسط هذا الظلام كان الأزهر ورجاله
القبس الذى ينير الطريق فظهر رجال الأزهر حماة الدين واللغة
العربية وظهر دور رجال الأزهر على وجه الخصوص بعد أن
حصلت هذه البلاد على استقلالها وتخلصت من نير الاستعمار
فكان دور الأزهرين فى نشر اللغة العربية والمساهمة فى استعادة
الدول العربية والافريقية لوجهها الوطنى دورا بارزا واضحا
وملموسا .

ان دور الأزهر فى نشر اللغة العربية وفى تدعيم الدراسات
الاسلامية فى القارة الافريقية لا يقل بأى شكل من الأشكال
أهمية عن دوره الأساسى فى نشر التعليم والمعرفة فى مصر ذاتها .

فالتأثر الحقيقي للأزهر في خارج حدود مصر هو امتداد طبيعي
للدور الأصلي داخل حدود مصر والوطن العربي • فالطلاب
الأفارقة الذين يدرسون في الأزهر يعودون الى بلادهم بعد
حصولهم على قدر كبير من التعاليم والمعارف الاسلامية
ويتشربون اللغة العربية فيقومون بنشر هذه المعارف في بلادهم
في المدارس وفي المساجد وفي الجامعات وفي مواقع العمل المختلفة
التي يشغلونها ، وكثير من هؤلاء الطلاب الوافدين الى الأزهر
يكون لهم شأن كبير في بلادهم عند عودتهم اليها حيث يتولون
فيها قيادات سياسية وتعليمية وغيرها من الخدمات الاجتماعية
المتعلقة بشئون بلادهم فيتفوقون فيها ويكون لهم تأثير كبير في
المواقع التي يشغلونها ولاشك في أنهم يعتبرون لسان الأزهر
المعبر في تلك البلاد وصورته المشرقة وصوته المدوي بتعاليم
الاسلام وبمبادئ وأصول اللغة العربية •

وبالاضافة الى ذلك كانت هذه الوفود الطلابية تعمل على
توثيق الصلات بين الأزهر وبين سائر الأمم الافريقية التي
وفدوا منها ، فهم حلقة الوصل وفي نفس الوقت لهم دورهم في
نشر الدين الاسلامي وفي نشر اللغة العربية بين أبناء وطنهم •

واذا وضعنا في الاعتبار أن معظم هذه الدول الافريقية
باستثناء دول الشمال الافريقي دول تتعدد فيها اللغات واللهجات

وكثير منها لغات غير مكتوبة ، كما أن اختلاف اللغات واللهجات يجعلها في حاجة للغة واحدة لغة التفاهم التي يعرفها الكل ويتخاطبون بها - يمكن أن ندرك الدور الذي يمكن أن تلعبه اللغة العربية في الربط بين هذه الدول والشعوب وفي توثيق الصلات بينها ، وفي ايجاد مبادئ سامية واحدة وأهداف مشتركة يمكن أن تسعى اليها هذه الشعوب •

ودور الأزهر لا يقف عند حفظ الثقافة العربية وحمايتها من التيارات التي تعرضت لها في مختلف العصور - بل انه يتعدى ذلك الى العمل على نشر هذه اللغة وتوسيع نطاقها ومضاعفة اعداد المتحدثين بها •

ولقد تأثرت المجتمعات التي عرف أفرادها اللغة العربية - بآداب هذه اللغة وبمعانيها وبألفاظها وتراكيبها وقواعدها وظهر ذلك جليا في أكثر من مجال •

ظهر مثلا في اللغة السواحلية التي انتشرت في شرق القارة وقد دخلتها عدة ألفاظ عربية ، فالتأثيرات العربية في اللغة السواحلية واضحة كل الوضوح •

ولا يقتصر الأمر على هذه التأثيرات - لكن الأثر الثقافي والاجتماعي والحضاري للعرب في شرق افريقيا واضح ، وقد اشار الى ذلك الرحالة الأجانب الذين جاءوا لأول مرة الى هذه

المناطق في القرن الخامس عشر ونوهوا بما كانت عليه من حضارة ورقى - فقد لمسوا فيها كما يقول كوبلاند (Coupland)

مجتمعا متحضرا لا يقل عن المجتمع الأوربي في ذلك الوقت في حضارته •

ويعلق كوبلاند على هذا بقوله « انه يجب ألا ندهش لما يذكره هؤلاء الرحالة عن مظاهر الحضارة التي نقابها العرب الى شرق افريقيا - فان العرب كانوا في ذلك الوقت حملة لواء الحضارة ، فلاشك في أن مدارس بغداد ، والقاهرة وتونس - كانت في القرن الثالث عشر تفوق تلك التي في أكسفورد أو التي في أية مدينة مسيحية أخرى » (٢) •

وقد دهش ابن بطوطة الذي زار عدة مدن في شرق افريقيا في سنة ١٣٣٣ م مما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء بها ، وذكر انه شاهد في كل مدينة زارها من مدن الساحل الافريقي الشرقي مسجدا مزينا بالنقوش وملحقا به مدرسة يتعلم فيها الصبيان ، ولمس بنفسه أن العرب الذين استقر بهم

Coupland, R. : East Africa & its Invaders (London (٢)
1958) P. 39.

المقام في شرق القارة نقلوا معهم تقاليدهم وعاداتهم فلم ينسوا
ما اشتهروا به من كرم الضيافة وغيرها (٣) .

وفي غرب افريقيا ارتبطت المدارس بالنواحي الدينية - ففي
أول الأمر كانت المدارس ملحقة بالمساجد حيث يوجد بكل مسجد
غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد ، وقد قلد الافريقيون هذا النوع
من المدارس وصارت الزوايا الخاصة بالفرق المذهبية والدينية
مدارس لتعليم الأطفال ، واشتهرت بعض المساجد بمدارسها التي
صارت منارة يشع منها العلم والمعرفة ، واشتهرت في هذا
المجال مدن مثل كانو ، وسوكوتو - وكانت الدروس فيها تلقى
طوال اليوم ولاتنقطع الا وقت الصلاة ، كما كان بعض الأساتذة
يدرسون بالليل على نور الحطب المشتعل الذي تبرع به
الطلاب (٤) .

ولقد أصبح الدين الاسلامي في غرب افريقيا دينا وثقافة
وفكرا لأنه ارتبط بتعليم العربية حتى يمكن فهم القرآن الكريم .

والحقيقة ان دور رجال الأزهر وتلاميذه في نشر اللغة

(٣) مهذب رحلة ابن بطوطة : مهذب أحمد العوامري بك ، ومحمد جاد
المولى (مطبعة بولاق) ص ٢٠٠ وما بعدها .

(٤) نعيم قداح : حضارة الاسلام وحضارة أوروبا في الطريقة الغربية
(١٩٧٤) ص ١٥٦ .

العربية في هذه البلاد بغرب افريقيا دور واضح سواء في المدارس
القرآنية أم في المعاهد الأخرى •

وقد ذاع صيت عدد من المعاهد وأصبحت مراكز يؤمها
طلاب العلم ، وكانت الصلات بين هذه المعاهد والأزهر الشريف
على مر العصور ، مستمرة وألحقت بالمعاهد مكتبات زودت بكثير
من المؤلفات التي اهتم الحكام بشرائها من مصر والمغرب وغيرها
من البلاد الاسلامية (٥) •

ولقد ازدهرت وأثمرت الحضارة العربية في غرب افريقيا ،
ولعل ما تزخر به اليوم دور الوثائق والمكتبات في نيجيريا وغيرها
من دول غرب افريقيا من مخطوطات ومن كتب ومن مراجع
عربية تعطي فكرة عن المجتمعات في غرب افريقيا ، والكثير من
هذه الثروة اللغوية والدينية والأدبية لم تلق عليه الأضواء
الكافية بعد مع أنها بلا شك تعتبر جزءا من التراث الحضارى
العربى الذى نعتز به (٦) •

(٥) لمزيد من التفاصيل عن التعليم والثقافة في غرب افريقيا يرجع الى
عبد الله عبد الرازق (دكتور) مرجع سابق ص ٢٠٠ وما بعدها .
(٦) انظر عبد الرحمن زكى (دكتور) : المراجع العربية للتاريخ الاسلامى
في غرب افريقيا (محاضرة القايت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية - في
٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ وطبعت في مجلة الجمعية) •

واذا كان الاستعمار عامة والاستعمار الفرنسى بصفة خاصة قد حرص على فرض ثقافة المستعمر ولغته وتقاليده ونظمه الاجتماعية والسياسية على الافريقيين وترتب على هذا اضعاف اللغات القومية والقاء ظلال باهتة على الماضى الحضارى للدول الافريقية - فان الواجب اليوم يحتم أن تبذل جهود مضاعفة لاصلاح هذه الأوضاع •

ولعل هذا يضع على عاتق الأزهر الشريف ورجاله مسئولية أكبر فى مد يد العون لهذه الدول الافريقية فى شمال القارة وشرقها وغربها لتعيد مجدها الحضارى ولتواصل اتصالها بالثقافة العربية باعتبارها على الأقل أحد الروافد الهامة التى أسهمت فى تشكيل الحضارة فى هذه الأقطار •

خاتمة

لقد عرضنا صورة لتطور الأزهر والدور الذى لعبه على مر العصور فى نشر الدين الاسلامى واللغة العربية ليس فى مصر فحسب لكن أيضا فى القارة الافريقية ، وكيف احتضن الأزهر فى أرواقه وحول أعمدته ، ثم فى حجرات الدرس وفى معامل البحث والتجريب بعد تطوير وتحديث الدراسة به — عشرات بل مئات من أبناء الدول الافريقية ، وكيف كان هؤلاء الدارسون رسل علم وحضارة عند عودتهم لبلادهم ، بل لمسنا كيف انتقل رجال الأزهر وبعض علمائه الى البلاد الافريقية وتحملوا المشقات والمتاعب لينقلوا الى هذه البلاد التى رحلوا اليها قبسا من النور وليكونوا حيث حلوا شموعا تحترق لتضىء الآخرين •

ولم تقتصر رسالة الأزهر كما رأينا على العلم والتعليم بالمعنى الحرفى الضيق ، فقد امتد دور الأزهر ورجاله وأثرهم فتقدموا الصفوف فى مواجهة الاستعمار وكانوا ملاذ الشعب حين يقع عليه ظلم أو يتحكم فيه حاكم مستبد ، ولا غرو فقد

كان رجال الأزهر يشلون الصفوة المثقفة التي تلهب الشعوب
بالظلم عند الجماهير ويعمل لها الحكام كل حساب .

وكان طبيعيا الا يقتصر أثر الأزهر هذا ودوره في الكفاح
الوطني على مصر فقد ترددت أصداء هذا الكفاح وانتقلت الى
شعوب القارة الأخرى في الغرب والشرق والشمال فهب المثقفون
فيها ممن تعلموا في الأزهر أو تأثروا بتعليمه في وجه المستعمرين .
وكانوا قادة لشعوبهم في حركات المقاومة الوطنية ، كما كانوا
بعد طرد المستمر الجنود الذين تكفلوا بإعادة البناء واصلاح
ما هدمه الاستعمار من تقاليد ومثل ومبادئ حضارية وأسس
دينية وقومية .

واذا كان هذا دور الأزهر في الماضي والحاضر فلاشك
في أن الآمال المعقودة عليه في المستقبل أضخم وأكبر .

ملاحق

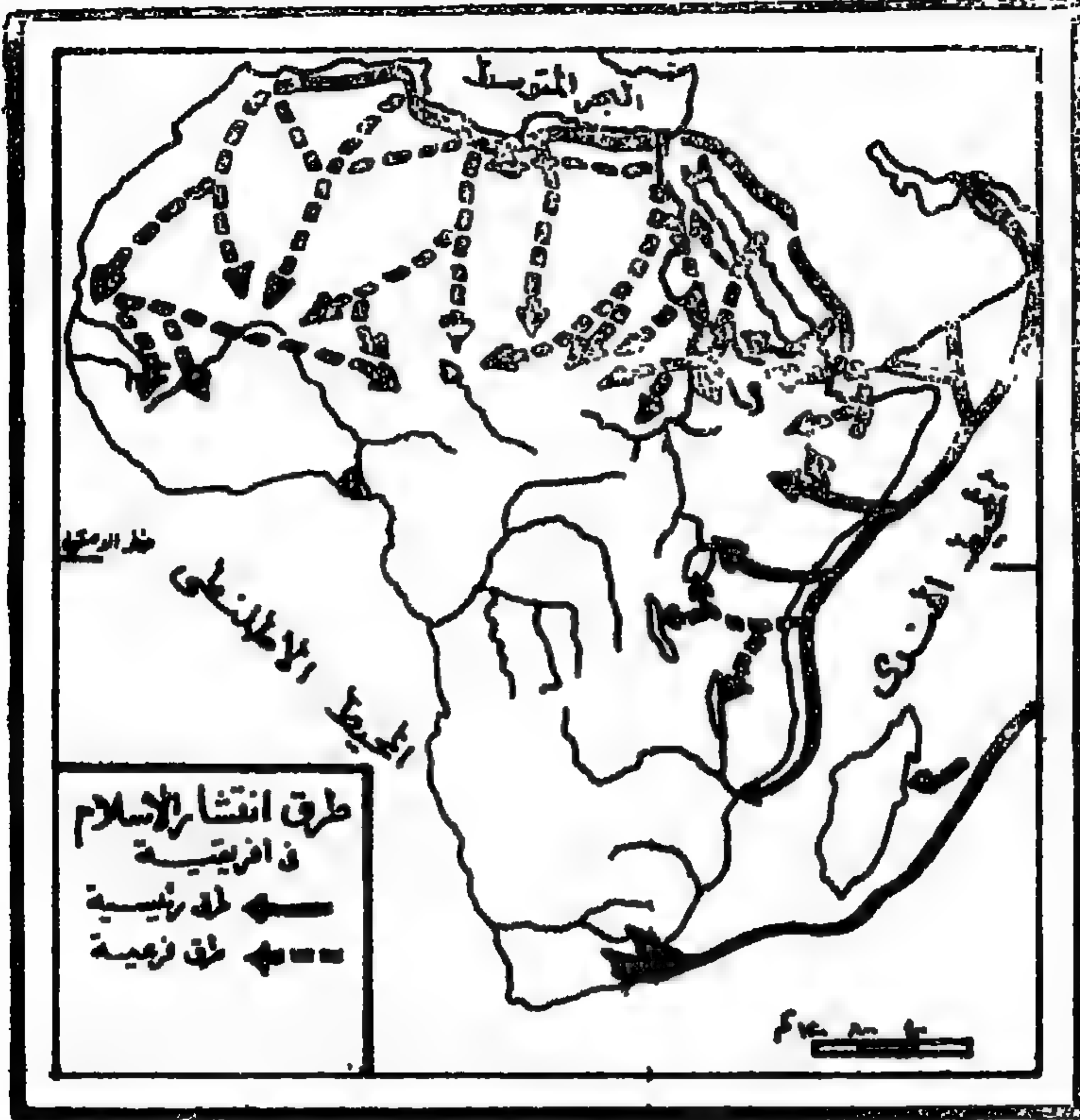
نسب المسلمين في القارة الافريقية الى عدد السكان

| الدولة | النسبة المئوية |
|-----------------------------------|----------------|
| ١ - موريتانيا | ٩٩.٥% |
| ٢ - السنغال | ٧٦.٥% |
| ٣ - جامبيا | ٥٦% |
| ٤ - مالي | ٥٦% |
| ٥ - غينيا | ٧٩% |
| ٦ - غانا | ٣٥.٣% |
| ٧ - فولتا العليا (بوركينا فاسو) | ١٩% |
| ٨ - بنين | ٧٥.٧% |
| ٩ - نيجيريا | ٤٤% |
| ١٠ - النيجر | ٧٨% |
| ١١ - ساحل العاج | ١٩% |
| ١٢ - توجو | ٧% |

| | |
|-----------------------------|-------|
| ١٣ - الكونغو برازافيل | ٧٪ |
| ١٤ - جمهورية افريقيا الوسطى | ٣٪ |
| ١٥ - الجابون | ٣٫١٪ |
| ١٦ - تشاد | ٥٠٪ |
| ١٧ - الكاميرون | ٥٫١٧٪ |
| ١٨ - مالاغاشى | ٤٫٤٪ |
| ١٩ - كومورو | ٩٥٪ |
| ٢٠ - السودان | ٧٠٪ |
| ٢١ - اثيوبيا | ٧٫٣٣٪ |
| ٢٢ - ارتريا | ٥٠٪ |
| ٢٣ - الصومال | ١٠٠٪ |
| ٢٤ - كينيا | ١٠٪ |
| ٢٥ - اوغندا | ٤٫٥٪ |
| ٢٦ - تنزانيا (تنجانيقا) | ٢٧٪ |
| ٢٧ - زنجبار | ٩٨٪ |
| ٢٨ - مالاوى | ٦٫١٠٪ |
| ٢٩ - زامبيا | ٥٠٪ |
| ٣٠ - روديسيا الجنوبية | ١٠٪ |
| ٣١ - انجولا | صفر |

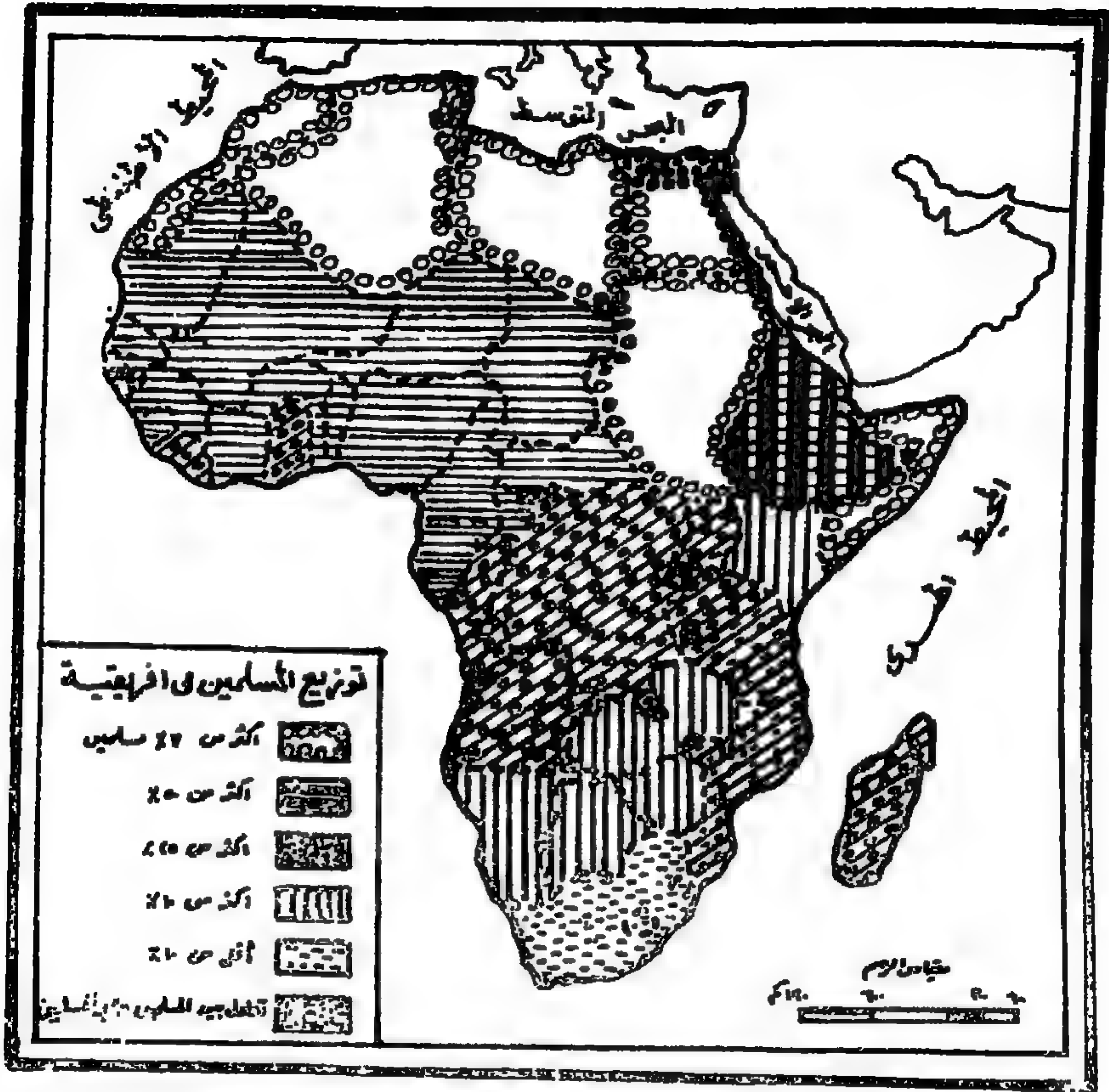
| | | |
|------|------------------------|-------|
| ٣٢ - | موزمبيق | ٢٤,٥٪ |
| ٣٣ - | بتشوانلاند | صفر |
| ٣٤ - | سوازی لاند | صفر |
| ٢٥ - | اتحاد افريقيا الجنوبية | ٢,٢٪ |
| ٣٦ - | سيراليون | ٦٨,٨٪ |
| ٣٧ - | مصر | ٩٣,٣٪ |

مخطط



شكل (١)

عن عبد العزيز كامل (دكتور) : جغرافية الاسلام في افريقيا



شكل (٢)

بتصرف - عن عبد العزيز كامل (دكتور) : جغرافية
الاسلام في افريقيا

مكتبة البحث

أولا - مصادر أصلية :

- ١ - ابن خلدون : المبتدأ والخبر ج ٥ ، المقدمة .
- ٢ - اللائحة التنظيمية لطلبة مدينة ناصر للبعوث الإسلامية (١٩٦٧) .
- ٣ - البلاذرى : فتوح البلدان (القاهرة ١٣١٨ هـ) .
- ٤ - لائحة الطلاب الوافدين ادارة البعوث الإسلامية بالأزهر (١٩٦٨) .
- ٥ - الأزهر الأمانة العامة لجمع البحوث الإسلامية .
- ٦ - شروط الرافقين فى الانبعاث للخارج (١٩٧٠) .
- ٧ - الأزهر ادارة البعوث الإسلامية - بيانات عن اعداد المبعوثين فى مدة أعوام متتالية (١٩٧١ - ١٩٨٦) .
- ٨ - الأزهر ، التقويم العلمى لجمع البحوث الإسلامية منذ انشائه (١٩٧١) .

- ٦ - الأزهر ، النظم التعليمية في المعاهد الأزهرية في ظل القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٤ .
- ١٠ - الأزهر ، المؤتمر الأول لجمع البحوث الإسلامية (١٩٦٤) .
- ١١ - الأزهر تقويم جامعة الأزهر (١٩٦٤) .
- ١٢ - الأزهر ، تقرير لبعثة الأزهر عن أحوال المسلمين في أريتريا (١٩٥٤) .
- ١٣ - الأزهر ، تقرير لبعثة الأزهر عن أحوال المسلمين في بلاد الحبشة (١٩٥٤) .
- ١٤ - المقرئى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ١ ، مقدمة (طبعة بولاق) .
- ١٥ - عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار في التراجم والأخبار (١٠٩٧ - ١٨٨٠) ج ٣ .
- ١٦ - على مبارك : الخطط التوفيقية (طبعة ١٣٠٤ هـ) ج ٤ .

ثانيا - مراجع عربية ومعربة :

- ١ - ابراهيم طرخان (دكتور) :
امبراطورية البرنو الإسلامية (١٩٧٥) .
- ٢ - أحمد أحمد بدوى :
رفاعة الطهطاوى بك (١٩٥٠) .

- ٣ - أحمد بن الحاج كاتب الشوثة :
(تحقيق الشاطر بوصيلى) (القاهرة ١٩٦١) .
- ٤ - أحمد حسن الباقورى :
الأزهر بين الخليفة المعز والرئيس جمال
عبد الناصر (١٩٦٨) (المجلد الأول من الندوة
الدولية الألفية للقاهرة) .
- ٥ - أحمد حسن الزيات :
كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية (ضمن
الكتاب التذكارى بمناسبة العيد الألفى
للأزهر) (١٩٨٣) .
- ٦ - أحمد محمد عوف (دكتور) :
الأزهر فى ألف عام (١٩٨٢) .
- ٧ - ارنولد ، توماس :
الدعوة الى الاسلام (ترجمة حسن ابراهيم
حسن ، عبد المجيد عابدين ، اسماعيل
النحراوى) (١٩٤٧) .
- ٨ - أنور الجندى :
العالم الاسلامى والاستعمار (١٩٥٨) .
- ٩ - الأشهب محمد الطيب ادريس السنوسى الكبير
(١٩٥٦) .
- ١٠ - حسن ابراهيم حسن (دكتور) :
انتشار الاسلام فى القارة الافريقية (١٩٨٤) .

- ١١ - حسن أحمد محمود :
الاسلام والثقافة العربية في افريقية (١٩٦٣) .
- ١٢ - حمدي السيد سالم :
الصومال قديما وحديثا ج ٢ (١٩٦٢) .
- ١٣ - سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :
العلاقات بين مصر والحبشة (١٩٧٥) .
- ١٤ - سمنية لقراعة :
تاريخ الأزهر في ألف عام (١٩٦٨) .
- ١٥ - شوقي الجمل (دكتور) :
تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (١٩٨٠) .
- ١٦ - شوقي الجمل (دكتور) :
المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (١٩٧٧) .
- ١٧ - شوقي الجمل (دكتور) :
تاريخ السودان وادي النيل وحضارته وعلاقاته
بمصر ج ١ (١٩٦٩) .
- ١٨ - صالح مجدي :
كنز الجواهر في تاريخ الأزهر (١٣٢٠ هـ) .
- ١٩ - عبد الحميد بخيت :
المجتمع العربي الاسلامي (١٩٦٥) .
- ٢٠ - عبد الحميد يونس (دكتور) ، عثمان توفيق :
الأزهر - دار الفكر العربي (١٩٤١) .

- ٢١ - عبد الرحمن زكى (دكتور) :
الاسلام فى افريقيا ج ١ (١٩٥٨) .
- ٢٢ - عبد الرحمن زكى (دكتور) :
الاسلام والمسلمون فى شرق افريقيا (١٩٦٦) .
- ٢٣ - عبد الرحمن زكى (دكتور) :
تاريخ الدول الاسلامية السودانية فى افريقيا
القريبة (١٩٦١) .
- ٢٤ - عبد الرحمن زكى (دكتور) :
الأزهر وما حوله من الآثار (١٩٧٠) .
- ٢٥ - عبد الله بن فسودى :
ضياء التأويل فى معانى التنزيل (د.ت -
مطبعة الاستقامة) (بالقاهرة) ج ١ .
- ٢٦ - عبد العزيز عبد المجيد (دكتور) :
التربية فى السودان الأسس النفسية التى
قامت عليها ج ٢ .
- ٢٧ - عبد العزيز كامل (دكتور) :
جغرافية الاسلام فى افريقيا دار الشرق
العربى (د.ت) .
- ٢٨ - عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) :
الأزهر جامعا وجامعة ج ١ (١٩٨٣) .
- ٢٩ - عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) :
الأزهر جامعا وجامعة ج ٢ (١٩٨٤) .

- ٣٠ - عبد الله الشرقاوى :
تحفة النظار فيمن ولى مصر من الولاة والسلطين
(١٢٨٤ هـ - ١٨٧٠ م) .
- ٣١ - عبد الله عبد الرازق (دكتور) :
الاسلام والحضارة الاسلامية في نيجيريا
(١٩٨٤) .
- ٣٢ - عبد القادر محمود :
الفكر الصوفى في السودان (١٩٧٥) .
- ٣٣ - عبد المتعال العبيدى :
تاريخ الاصلاح في الأزهر (١٩٥٨) .
- ٣٤ - عبد المجيد عابدين (دكتور) :
بين الحبشة والعرب (١٩٤٧) .
- ٣٥ - عبد المجيد عابدين (دكتور) :
تاريخ الثقافة العربية بالسودان (١٩٥٣) .
- ٣٦ - على عبد العظيم :
مشيخة الأزهر منذ انشائها حتى الآن
ج ١ (١٩٧٨) .
- ٣٧ - على عبد العظيم :
مشيخة الأزهر منذ انشائها حتى الآن
ج ٢ (١٩٧٩) .
- ٣٨ - فتحى غيث :
الاسلام والحبشة عبر التاريخ (١٩٧٥) .

- ٣٩ - كارل بروكلمان :
تاريخ الشعوب الإسلامية والإسلام في القرن
التاسع عشر - ترجمة أيمن فارس ومنير
البلبكي (١٩٥٠) .
- ٤٠ - كلود ، هنري ، بوتان أندريه ، لوكوست اينى :
الاستعمار الفرنسي والمغرب العربي (د.ت) .
- ٤١ - كوفي عبد الرحمن :
الإسلام والمسلمون في ساحل العاج (١٩٢٨) .
- ٤٢ - لوثرروب ، ستوارد :
حاضر العالم الإسلامي (ترجمة نجاح
توملين) ١٣٥٢ هـ .
- ٤٣ - محمد عبد الله عنان :
تاريخ الجامع الأزهر (١٩٥٨) .
- ٤٤ - محمد البهي (دكتور) :
الأزهر ، تاريخه وتطوره (١٩٦٤) .
- ٤٥ - محمد سليمان :
دور الأزهر في السودان (١٩٨٥) .
- ٤٦ - محمد عبد القادر أحمد (دكتور) :
المسلمون في غينيا (١٩٨٦) .
- ٤٧ - محمد عبد الله ماضي (دكتور) وآخرون :
الأزهر في ١٢ عاما (١٩٦٤) .
- ٤٨ - محمد عبد المنعم خفاجي (دكتور) :
الأزهر في ألف عام (١٣٧٤ هـ) .

- ٤٩ - محمد فؤاد شكري :
مصر في مطلع القرن التاسع عشر ج ٢
(١٩٥٨) .
- ٥٠ - محمود أبو العنين :
نبذة في تاريخ الأزهر (١٩٤٦) .
- ٥١ - محمود الشنيطي :
قضية ليبيا (١٩٥٤) .
- ٥٢ - مصطفى بيرم :
الأزهر (١٩٠٢) .
- ٥٣ - مصطفى مسعد :
الاسلام والنوبة في العصور الوسطى (١٩٧٥) .
- ٥٤ - منصور علي رجب :
الأزهر بين الماضي والحاضر (١٩٤٦) .
- ٥٥ - نعيم قـداح :
حضارة الاسلام وحضارة أوربا في افريقيا
الغربية (١٩٧٤) .
- ٥٦ - وزارة الأوقاف وشئون الأزهر :
الأزهر تاريخه وتطوره (١٣٨٣ - ١٩٦٤) .
- ٥٧ - محمد عمر بشير (دكتور) :
تطور التعليم في السودان (بيروت ١٩٧٠) .
- ٥٨ - يسرى الجوهري (دكتور) :
افريقية الاسلامية (١٩٨٠) .

٥٩ - يوسف أحمد :

الاسلام في الحبشة (١٩٣٥) .

٦٠ - يوسف فضل :

دراسات في تاريخ السودان ج ١ .

ثالثا - دوريات عربية :

١ - بشير حسن ترون :

الأزهر في القرن الثامن عشر الميلادي (مجلة
الأزهر ج ٨ - ذو الحجة ١٤٠٣ هـ) .

٢ - حسن النواوي وآخرون :

قانون تنظيم الأزهر ومنبر الاسلام
(مارس ١٩٨٣) .

٣ - شوقي الجمل (دكتور) :

الحضارة الاسلامية العربية في غرب افريقيا
- سماتها ودور المغرب فيها (مجلة المناهل
العربية - العدد السابع ذو القعدة
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م) .

٤ - عبد الرحمن زكي (دكتور) :

المراجع العربية للتاريخ الاسلامي في غرب
افريقيا (مجلة الجمعية المصرية للدراسات
التاريخية ١٩٦٧) .

٥ - عبد الله عبد الرازق ابراهيم (دكتور) :

الحركات الاصلاحية في غرب افريقيا في القرن

التاسع عشر (نشرة البحوث الافريقية
يولية ١٩٨٣) .

٦ - عبد الله بخيت محمد (دكتور) :

خطورة الصراع الدينى فى افريقيا .
(مجلة الأزهر ج ١ للسنة الستون محرم
١٤٠٨ هـ - سبتمبر ١٩٨٧ م) .

٧ - محمد شتا زيتون :

تأثير الأزهر فى الخارج بين الماضى والحاضر
(مجلة الأزهر ج ٩ السنة الخامسة
والخمسون رمضان ١٤٠٣ هـ يونيه ١٩٨٣ م) .

٨ - محمد شتا زيتون :

تأثير الأزهر فى الخارج بين الماضى والحاضر
(مجلة الأزهر ج ١٢ السنة الخامسة
والخمسون ذو الحجة ١٤٠٣ هـ سبتمبر
١٩٨٣ م) .

٩ - محمود عاشور :

مدينة البحوث ودورها فى حقل الدعوة
الاسلامية (منبر الاسلام جمادى الاولى ،
جمادى الآخرة ١٤٠٣ - يونيه ١٩٨٣) .

رابعاً - دوريات اجنبية

1. Willis, J. Ralf : Jihad Fi Sabil Allah (Journal of African History VIII No. 3 — 1967).
2. Johnston, Marion : Economic Foundations on an Islamic Theocracy (Journal of African History XVU, 44 — 1967).
3. Journal of African History — Vol. 11 (1961)

خامساً - رسائل جامعية :

يونان ، عبد العزيز سليمان :

رسالة الأزهر الثقافية في بعض دول افريقيا

(دراسة مقارنة) رسالة دكتوراه - كلية

التربية جامعة عين شمس ١٩٧٢



سادساً - دوائر المعارف والقواميس :

١ - دائرة المعارف الاسلامية الجزء الثالث

٢ - قاموس جلال ج (GOAL) General Organization of the Alexandria Library

Alexandria

سابعاً - مراجع اجنبية :

1. Ajaya and Crowder JM : History of West Africa- Vol 1 (London 1968).
2. Dodge, Bayard : Al Azhar, Ahillennium of Muslim leading, (Washington 1961).

3. Coupland, R. : East Africa and its Invaders (London 1958)
4. Crowder, M. : West Africa Under Colonial Rule.
5. Dye, W. : Moselm Egypt and Christian Abyssinia. (N.Y. 1880).
6. Fage, J.D. : An Introduction to the History of West Africa. (Cambridge 1955).
7. Felkin : Uganda and the Egyptian Sudan V.I. (London 1958).
8. Hogben : Muhammdan Emirates of Nigeria. (Oxford 1966).
9. Panikkar, Madhu : The Serpent and the grescent. (Bonbay 1965).
10. Pritchard Evans : The sanusi of Crgenaica (Oxford 1949).
11. Rebaud, Louis et autres : Histoire Scientifique et Militaire de l'Expedition Francaise.
12. Slatin : Fire and Sword in the Soudan (Translated by Colonel Wingate-London 1898).
13. Thompson Nirginia and Adolf Richard : French West Africa (London 1958).
14. Trimingham S. : Islam in the Sudan. (London 1939).
15. Trimingham, S. : Islam in Ethiopia (London 1952)
16. Wingate, Major, F.R. : Mahdism and the Egyptian Sudan (London 1891).

الفهرس

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٥ | تقديم |
| ٧ | مقدمة |
| ٩ | الفصل الأول : تاريخ الأزهر منذ نشأته الى اليوم |
| ٣٧ | الفصل الثاني : الوافدون على الأزهر والمبعوثون منه ودورهم في نقل الحضارة والثقافة العربية الى الأقطار الافريقية الأخرى |
| ٦٣ | الفصل الثالث : الدول الافريقية التي لعب الأزهر دورا هاما في نشر الاسلام والثقافة العربية فيها |
| ١٠٣ | الفصل الرابع : الطرق الصوفية والحركات الإصلاحية في افريقيا ودور الأزهر فيها |
| ١٢٩ | الفصل الخامس : دور الأزهر في الكفاح الوطني في مصر وصدى ذلك في باقي الأقطار الافريقية |
| ١٥٧ | الفصل السادس : دور الأزهر في نشر الثقافة والحضارة العربية في افريقيا |
| ١٦٩ | خاتمة |
| ١٧١ | ملاحق |

رقم الايداع ٥١٤٤ / ١٩٨٨
الترقيم الدولي ٨ - ١٨٦٤ - ٠١ - ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

